جامعـة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

المحاولات الإصلاحية في تونس خلال القرن 13هـ /19م

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر تخصص التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة: بن مزوز عزيزة

إشراف الدكتور: بن قومار جلول.

مساعدة المشرف استاذة : نواصر نصيرة

الجنة المناقشة:

أ/ تريعة موسى رئيساً

د/بن قومار جلول مشرفاً

أ/ نواصر نصيرة مساعدة المشرف

أ/ بن قايد عمر مناقشاً

السنـــة الجامعيـــة :1437- 1438 هـ / 2016-2017م

كلمة شكر

أشكر الله العليّ العظيم الذي وفقني على إنجاز هذا العمل ، فالحمد والشكر لك ياربى .

بداية وإستناداً لقول الرسول ﷺ عليه أفضل الصلاة والسلام

"لا يشكر الله من لا يشكر الناس "

أتقدم بخالص الشكر والعرفان للدكتور بن قومار جلول الذي منحني شرف قبوله ورعايته لعمل هذا والذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيمة ، فكان سندا لي وعوناً في إنجاز مذكرتي

كما أشكر مساعدة المشرف الأستاذة الفاضلة نواصر نصيرة التي قدمت لي كل

عون ورعاية لإتمام مذكرتي فجازهم الله عني كل خير

كما أوجه شكري الخالص لكل الأساتذة الذين درسوني طيلة مشواري الدراسي

والذين قدموا لي اليد المساعدة ومنهم دكتور : كواتي مسعود و الأساتذة منهم :

بوبكر محمد السّعيد وجعفري أحمد ودمانة أحمد و بيشي رحيمة ومحمة عائشة وقريزة ربيعة

وزناتي عامر وبوقراف جلول ...

كما لا يفوتني أنّ أشكر زملائي في الدراسة بالقسم الثانية ماستر تاريخ الحديث والمعاصر .

الإهداء

" ربي أوزعني أنّ أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، وأن أعمل

صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين" النمل –الآية 19

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء، ورفعاني إلى طريق النجاح، إلى اللّذان علماني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر إلى من غمراني بعطائهما وكرمهما ، والديا أبي الفاضل وأمي الينبوع الذي لا يمل العطاء ومن حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها .

إلى من شاركوني الحنان الأبوي وتقاسمت معهم الدفء الأسري وتبادلت معهم الحب الأخوي إلى توأم روحي أختي وهيبة وأخواتي آمنة ، سارة ، بسملة ، فاطمة الزهراء زوبيدة و أخي أبوبكر.

إلى صديقاتي : بهية ، حنان ، فاطيمة ، بشرى ، فضيلة، سلمى و مريم ،حليمة ، فاطنة، خديجة ومسعودة و وهيبة ...

إلى الشموع التي احترقت من أجل أن تضيء الجزائر بالعلم والمعرفة إلى روح علماء الإصلاح والتجديد في الجزائر الذين وهبوا أنفسهم وضحوا بحياتهم من أجل أن تحيا الجزائر عربية مسلمة، إلى كل هؤلاء أقدم هذا العمل وأرجوا أن يتقبله الله عنده من الأعمال الصالحات .

"إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"

سورة هود الآية 88

قائمة المختصرات:

أ-العربية :

تح:	تحقيق
تر	ترجمة
ت	تقديم
ج	جزء
د ط	دون رقم طبعة
س ج	السنة الجامعية
ص	صفحة
ط	طبعة
مج	مجلد
مخ	مخطوط
مر	مراجعة
ور	ورقة

ب: الأجنبية :

RA	Revue
p	Page
T	Tome
Tr	Trimestre

مقدمة

1- التعريف بالموضوع:

شهدت تونس في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي إصلاحات عديدة مست جوانب مختلفة من الحياة في تونس،فقد تدهورت أوضاع البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في حين كانت الضفة المقابلة من البحر الأبيض المتوسط تسارع الخطى في الاكتشاف والتقدم العلمي وتطور الفكر والمعرفة، فقد ظهر رجال حملوا على عاتقهم تحرير العقول أولاً ليتمكن الشعب من تحرير الأرض لاحقاً و من خلالها دفعت بالكثير من المصلحين والمفكرين التونسيين بالمساهمة في محاولة الإصلاح خاصة، وأن هؤلاء المصلحين قد رأوا أن الهوّة الحضارية واسعة بين تونس خاصة والعالم الأوربي الذي أكتسب العلم والمعرفة ومواطن القوة، فأراد هؤلاء إصلاح ما يمكن إصلاحه وإنقاذ البلاد من التدهور الذي تعيشه تونس في مختلف الأصعدة، ولذلك ارتأيت أنّ أنجز مذكرة تخرج في الماستر تخصص تاريخ حديث ومعاصر، هذه المذكرة التي خصصتها إلى أولئك الأعلام الذين ساهموا بجهد بيّن وجلّي للنهوض بتونس في المجال السياسي والثقافي والاقتصادي وحتى الاجتماعي والموسومة بـــ **المحاولات الإصلاحية في تونس خلال القرن 13هـ -19م**

2- إشكالية الموضوع :

لدراسة موضوع الإصلاح في تونس خلال القرن 13هـ-19م ولدراسة استوجب طرح إشكالية رئسية وإشكاليات فرعية تتمثل فيمايلي :

اشكالية رئسية: فيما تتمثل أهم التحولات والأوضاع التي طرأت على المجتمع التونسي وكيف كان الاصلاح في عهدهم ؟

إشكاليات فرعية:

1- وهل وفق أولئك المصلحين من التأثير في مجتمعهم ؟

2- وما هي الإخفاقات والنجاحات التي نتجت عن هذا الإصلاح؟

3-وما هي جذور فرض الحماية على تونس وما هي نتائجها ؟

3- الهدف الموضوع :

محاولة الوقوف و معرفة الأوضاع التي مرت بها تونس قبل وبعد الإصلاح وأهم تأثيرات التي مرات بها بالإضافة كذلك معرفة أولئك المصلحين الذين قاموا بالتأثير في مجتمعهم؟ وما هي الإخفاقات والنجاحات التي نتجت عن هذا الإصلاح ؟.

4- أسباب اختيار الموضوع :تعود أسباب اختيار موضوع المذكرة **الموسومة بـ المحاولات الإصلاحية في تونس خلال القرن 13هـ /19م** إلى العوامل الآتية:

- اهتمامي بتاريخ تونس عند الدراسة في مرحلة ليسانس

- الرغبة في دراسة مواضيع لها علاقة بالحركة الإصلاحية والحركة الوطنية في المغرب العربي الذي تعرض للاستعمار ومحاولة محو الهوية الوطنية.

- ميلي لدراسة الجوانب الإصلاحية في الأقطار المغاربية لأن هذا النوع من الدراسات مازال يحتاج إلى دراسات أخرى عكس الجوانب السياسية التي قتلت بحثاً.

- سعيا مني لإثراء المكتبة التاريخية بهذا النوع من الدراسات و خاصة في تاريخ تونس الذي يركز على الجوانب الاجتماعية نظرا لقلة هذا النوع من الدراسات.

- الرغبة في إبراز جهود أولئك المصلحين الأعلام الذين ساهموا بقسط وافر في بعث الحركة والنهضة في تونس من باب الاعتراف بالفضل والجميل .

5- المنهج المتبع في الموضوع :

إتبعت في دراسة هذه المذكرة على:

1- المنهج التاريخي الوصفي : والذي من خلاله تتبعت الأحداث التاريخية وإنجازات أولئك المصلحين وترتيبها ترتيباً كرنولوجيا مع وصف تلك الإنجازات مرحلة بمرحلة.

2- المنهج التحليلي والتركيبي : اعتمدته في تحليل بعض المواقف التي صدرت عند الرواد المصلحين وكذلك استقراء تلك الإصلاحات، ومحاولات التأثير من أولئك المصلحين على المجتمع التونسي، ثم مدى فاعلية تلك الإصلاحات في مواجهة السياسية الاستعمارية الفرنسية .

6- حدود الدراسة :

كانت الحدود الزمانية والمكانية لهذه الدراسة تتناول القطر التونسي والفترة الممتدة مابين 1705 إلى غاية 1914وهي الفترة المحددة بنظام الحسيني إلى الحماية على تونس ومقاومة الاحتلال الفرنسي إلى غاية بداية الحرب العالمية الأولى وهي مرحلة غنية بالأحداث والوقائع .

7- خطة البحث :

لانجاز هذه المذكرة الموسومة بـــ **المحاولات الإصلاحية في تونس خلال القرن13هـ-19م** اقترحت الخطة التالية:

- **الفصل الأول** تحت عنوان " الأوضاع العامة في تونس قبيل الإصلاح" التحدث بصفة مختصرة عن الأوضاع العهد العثماني في تونس ثم تعرضت إلى العهد الحسيني ومعرفة أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية والتعريف بمجموعة البايات الذين تداولوا على الحكم مع ذكر دوافع ظهورهم ومميزات حكمهم.
- **الفصل الثاني** :والمعنون بـــ **الحركة الإصلاحية وروادها في تونس** وقد قسمته إلى أربعة مباحث لكل مبحث رائد ودوره في الإصلاح

المبحث الأول : جهود خير الدين التونسي(1820-1890م) في الإصلاح.

المبحث الثاني : جهود أحمد بن أبي الضياف (1874/1804 م) في الإصلاح

المبحث الثالث : جهود محمد بيرم الخامس (1889/1840) في الإصلاح .

المبحث الرابع :جهود عبد العزيز الثعالبي :(1873-1944) في الإصلاح

- **الفصل الثالث** :فقد درست فيه "**أثر الحركة الإصلاحية في تونس**":فقد قسمته إلى أربعة مباحث: في المجال السياسي و الاقتصادي والثقافي والاجتماعي

8- الدراسات السابق للموضوع :

لاشك أنّ الكثير قد تناولوا موضوع الإصلاح في تونس ،وهذا لا يعني أنّ الموضوع قد أخذ حقه من البحث والتحليل، فهناك جوانب أخرى لم يسلط عليها الضوء بصورة كافية ومن هذه الدراسات

أذكر على سبيل المثال لا للحصر:

- دراسة أحمد يزير : **عبد العزيز الثعالبي وقضايا عصره 1876-1944م**،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر بوزريعة ، السنة الجامعية 2010-2011 والتي تتناول فيها بنوع من الإسهاب حياة أحد المصلحين الكبار في تونس والعالم العربي وهو الشيخ عبد العزيز الثعالبي

-برجي رزيقة :شخصية **محمد المكي بن عزوز ودوره الإصلاحي(1854-1915م**)مذكرة لنيل الماستر التاريخ المعاصر ،جامعة محمد خيضر بسكرة 2012-2013.

- ومن الدراسات الهامة كذلك كتاب **زعماء الإصلاح في العصر الحديث** لأحمد أمين وكتاب **مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية** لأحمد عبد السلام أحمد

وكذلك كتاب **التفكير الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور قانون عهد الأمان** لرشاد الإمام يذكر فيه عن مواقف المفكرين في تونس من تلك الإنجازات المختلفة.

- أحمد خالد :**أضوَاء من البيئَة التونسية على الطّاهر الحدّاد ونضال جيل** الذي يدرس الإصلاحات وأهم التطورات التي حصلت في تلك الفترة

9-دراسات نقدية لأهم مصادر ومراجع الدراسة:

لانجاز مذكرتي اعتمدت على جملة من المصادر أذكر منها :

1-محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج : **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**. هذا المصدر يتناول فترة الحسين بن علي وإصلاحاته في البلاد وحرب الجزائر مع تونس بالإضافة إلى ذكره لأشهر العلماء.

2-محمود بن سعيد مقديش "**نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**" كان مقديش عالما مشهورا في تونس ، سافر في طلب العلم إلى أهم المراكز العلمية الإسلامية في عصره منه جامع الزيتونة والجامع الأزهر وشمل كتابه فترة تاريخية تبدأ بصدر الإسلام وتنتهي سنة 1833 مع تركيز شديد على تاريخ تونس في العهد الحسيني وبالأخص في عهد حمودة باشا.

3- محمد بيرم الخامس ، **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار** من أهم المصادر المعتمد عليها في البحث.

4- محمد مخلوف ، **شجرة النور الزكية في طبقات الملكية** : هو مصدر يشمل رجال الطبقات

عاشوا في البلاد التونسية حيث أشار إلى سياساتهم تجاه البلاد وإصلاحاتهم وأهم رجال دولته 5-بن أبي الضياف ويعتبر كتابه **إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان** من أهم المصادر المعتمد عليها في البحثي.

10- الصعوبات المعترضة:

لا يخلو أي بحث جاد وأكاديمي من الصعوبات التي تعترض الباحث ومنها :

1-تشابه المادة العلمية في كثير من المصادر التونسية مطبوعة وغير مطبوعة من ناحية سرد وصياغة الأحداث مما صعب على الباحث الاستفادة المادة الخبرية.

2- صعوبة الوصول إلى المراجع باللغة الأجنبية وكذلك ترجمة الكتب.

3- ضيق الوقت الذي لم يسمح لي بجمع والوصول إلى المصادر والوثائق اللازمة.

ولا يسعني في الأخير إلا أنني أشكر جزيلا شكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد لانجاز هذه المذكرة الموسومة **بـ المحاولات الإصلاحية في تونس خلال القرن13هـ19م** وأخص بالذكر المشرفين على المكتبات بالقرارة و إلى مشرفين مكتبة كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية قسم التاريخ جامعة غرداية كذلك مكتبة متحف المجاهد بمتليلي ومكتبة منظمة المجاهدين لولاية غرداية ومكتبة الحامة بالجزائر الذين قدموا لي يد المساعدة زودوني بالمراجع والمصادر اللازمة كما أشكر أستاذي المشرف الدكتور بن قومار جلول على تعاونه معي ومساعدته لي وكذا الأستاذة نواصر نصيرة على نصائحها المفيدة ومساعدتها لي .

"وفي الأخير أقول ما قال العماد الأصفهاني " إنّي رأيتُ أنّه ما كَتَبَ أحَدُهُم في يَومِهِ كِتاباً إلا قالَ في غَدِهِ لو غُيّرَ هذا لَكانَ أَحسن ولَو زُيِّدَ ذاكَ لَكانَ يُستَحسن، ولَو قُدِّمَ هذا لكانَ أفضل، ولو تُرِكَ ذاكَ لَكانَ أجمل، وهذا مِن أعظَمِ العِبر، وهو دَليلٌ على استيلاءِ النّقْصِ على جُملَةِ البَشر."

التاريخ 2017/05/11

الطالبة بن مـزوز عـزيزة

الفصـــل الأول

الأوضـــــاع العامـــة في تونس قبيل الإصلاح

1 - المبحث الأول :الأوضاع السيّاسية .

2- المبحث الثاني :الأوضاع الاقتصادية .

3- المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية .

4- المبحث الرابع :الأوضاع الثّقافية .

إرتأيتُ أنّ يكون الفصل الأول من هذا البحث يتطرق بالخصوص لأهم التطورات والأوضاع التي مرت بها تونس في مطلع القرن 17م إلى غاية القرن 19م ،من خلال ما عرفت بها تونس في القرن 16م.

التي شاهدت ضعفا في قواتها الدفاعية من أجل مواجهة التواجد الإسباني فيها،وقد مهد هذا ، إلى التدخل العثماني الذي نجح في تحريرها سنة 1574من التواجد الاسباني من نهاية الدولة الحفصية وبداية الحكم التركي الذي استطاع ترتيب الأمور من طرف حكامها كل هذه الأحداث المهمة ستنعكس على القطر التونسي من جميع نواحيه

لذلك خصصت أنّ أقدم لمحة مختصرة على أحوال العهد العثماني في تونس ومدى تأثيرها على مختلف الظروف سواء السياسة والاقتصادية أو الاجتماعية، ومن خلالها ساهمت كذلك الأسرة الحسينية منذ وصولها إلى الحكم في تحسين أوضاع تونس ، حيث أثّرت وتأثرت وأثرت الحضارة الإنسانية عموما حضارة الحوض المتوسط على وجه الخصوص، وساعد هذا الموقع الجغرافي على أنّ تصبح تونس محط أنضار الدول التي حاولت زيادة نفوذها في هذا البحر ، أو التحكم فيه ، وتعد هذه التحولات من الأسباب التي جعلتني أتناول الفصل الأول تحت عنوان الأوضاع في تونس قبيل الإصلاح لمعرفة أوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية. فما هي أهم التحولات التي طرأت على المجتمع التونسي والأوضاع التي مرت بها مند مطلع القرن 17الى غاية القرن 19 ؟ .

المبحث الأول : الأوضـــاع السياســـية:

شهدت تونس خلال القرن السابع عشر تطورات وأحداث سياسية مختلفة حيث صارت تونس ولاية عثمانية خاضعة للسلطان العثماني، وكان إلى جانب الوالي الباشا الانكشارية ،ورؤساء البحر، قوة أخرى لها مكانتها وهي سلطة الدابات والتي تغير اسمها عام 1705إلى البايات ومند عام 1612إلى عام 1702حكمت أسرة البايات المرادية نسبة إلى مؤسسها مراد بك[1] الذي حكم 1612إلى 1631وتلاه ابنه حمود الذي استطاع إقرار الأمور في تونس بالقضاء على ثورات القبائل العربية وهجمات فرسان القديس يوحنا على سواحل التونسية ، وخلف حمودة مراد الثاني اشتهر بقسوته واستمر الصراع بين أبنائه على منصب الباي حتى انتهت الأسرة المرادية بقتل جميع أفرادها واستغل زعيم الفرسان حسين بن علي[2].

وجاءت بايات الأسرة الحسينية[3]، بأسس حديثة بإعتماداً على العناصر الوطنية ، وهو ما أعطى لتونس ميولا قومية،وهكذا حاول ببعض البايات في ظل استقرار الوضع السياسي الأخذ بأسباب

---

(1) **مراد بك** هو أول البايات المراديين ومؤسس الدولة المرادية بتونس، تولى الحكم من عام 1613م إلى وفاته عام 1631م . وهو أصيل جزيرة كورسيكا،وعمل على كسب ثقة الدايات والباشا ، مطلع القرن السابع عشر م منحه السلطان العثماني لقب الباشا الذي حمله مع لقب الباي وحق ولاية العهد لابنه حمودة باشا،فمهد الأمور ورتبها أحسن ترتيب ، كما أنه كان يتمتع بذاتية الحكم وقرار عقد معاهدات صلح وسلام وتجارة مع أكبر البلدان الأوروبية .ينظر محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ج2،ط1، 2003، ص179

(2) **الباي حسين بن علي** : هو ابن لعلج يوناني اسمه علي التركي ، كان يتمتع بخبرة إدارية وحكمة سياسية وقد كان من أصل ارناؤوطي وقيل انه كورغلي أصله من جزيرة كريت التحق لصفوف العسكر التركي لتونس خلال فترة المراديين ، وعمل كقاعد الإدارة الأعراب ومن هناك تعرف برؤساء العروش حيث كان مشهوراً بالشجاعة ويعد أكبر الفرسان إلى غاية وفاته سنة 1087هـ ونشأ أبنه حسين في خدمة أمراء إفريقية وبايتها ينظر الوزير السراج :**الحلل السندسية في الأخبار التونسية** ، ط1،مج ، دار العرب الإسلامي بيروت لبنان ،1987، ص ص 7- 284 .وكذلك : ينظر إبراهيم زكي خورشيد : موجز المعارف الإسلامية ،مركز الشارقة للابداع الفكري ،ج1 ،تج ت،هوتسمات وارنولد ، باسيت هارتمان،1998م ، ص 3880 .ينظر :رقم 02

(3) **العائلة الحسينية** :أسرة حسين بن علي الذي نصب بايا على تونس سنة 1705 أخذت شرعية الحكم من السلطة العثمانية 1706استمرت في حكم تونسي إلى أيام الحماية ينظر : عبد الله مقلاتي ،**في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر** ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ,ص47.ينظر للملحق :رقم 01

التقدم وعصرنة البلاد لكن الظروف الداخلية والخارجية القاهرة وطبيعة نظام الحكام ،كانت تنخر جسم الدولة، وتؤول بها للوقوع تحت الهيمنة الاستعمارية[1] .

وبينما في هذه الفترة كانت دولة البايات الحسينيين. قد حلّت بعد محلّ البايات المراديين، وفي هذا الفترة توفيت الأميرة عزيزة عثمانية[2] التي تركت هذه المرأة كثيرا من الميراث التي كرست لها ثروتها في إقامت بدور إجتماعي وثقافي بالغ الأهمية.

وبذلك فتح سنان باشا[3] تونس وظل يتناوب على حكم عدد من البايات حتى نهاية القرن الثامن عشر ،ولاشك في أنّ الأوضاع الداخلية في تونس كانت لها أثارها العميقة وارتباطاتها بعلاقات تونس بالدولة الأجنبية[4].

بدأت تظهر بوادر دولة جديدة في تونس ألا وهي الدولة الحسينية التي توالى على حكمها تسعة عشر بايا[5] .

وأثناء الفوضى التي وقعت فيها البلاد في أواخرها وضعت الإمارة في تونس وراثية لعقدين من الزمن ويعيد تنظيمها بالاعتماد على العناصر التي جاءت به إلى الحكم، ومكن من توريث السلطةلأسرته[6]

---

(1) مقلاتي عبد الله :المرجع السابق ، ص ص 46-49

(2) **عزيزة عثماني** : 1606-1669وهي امرأة شهيرة فاضلة لا يزال التونسيون يكنون لها المحبة والتقدير ،حيث تركت هذه المرأة التي كانت بنتا لحفيد عثمان داي كثيرا من الميرّات التي كرست لها ثروتها فإنّ ما تركته من أوقاف يشهد لها بعطائها وروحها الإنسانية الفياضة ومن الغريب أن لم يشر أي مؤرخ من مورخينا إلى هذه المرأة الفذّة ماعدا ابن أبي دينار أحمد وبن أبي الضياف فقد خصص لها كلّ منهما في كتابه. ينظر: الصادق الزمَرلي ، الصادق الزمرلي : **أعلام تونسيون**، تقديم وتعريب حمادى الساحلي،دار الغرب الإسلامي ، ط1، 1986،ص31

(3) **سنانا باشا** :عُيِّن على تونس واليًا برتبة باشا فأبقى بها حامية من أربعة آلاف جندي إنكشاري، يرأس كل مائة منهم داي ويرأس الدايات أغا، ويتولى الجباية باي، وأنشأ بالقصبة ديوانًا لفصل قضايا الجند وتدبير شؤون الولاية بمشاركة أعيان من الأهالي.:ينظر **جميل بيضون وآخرون:تاريخ العرب الحديث** ،دار الأمل ، ط1، الاردن،2010 ص 110.

(4) غلاب عبد الكريم :**قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي** ،دار الغرب الإسلامي ، ج 2، ط1، 2005بيروت، ص 351.

(5) Jeam Ganiage.les Qrigines du peotectorat francais en Tunis.1861-1881.Pesses.universitaives de.france. Paris. 1959,P10.

(6) محمد الشاولي بن القاضي : **المجلة الزيتونية** ،مج1،ج1، مطبعة التونسية بنهج سوق البلاط ،عدد 57، بتونس ، ص197

فقضى بذلك على كثير من الخلافات والتطلعات غير أنّه أحسن في المبدأ وأساء في التطبيق ذلك منح ابن أخيه على الذي تبناه ورباه تربية حسنة لقب الباشا ومنح ابنه بعض الاختصاصات في الحكم وكان ذلك سببا في ثورة على الذي لم يكتف بتمرده وإنما استعان بالجيش الجزائري على مقاتلة عمه فانتصر عليه وحكم البلاد حكما سيئا في الداخل في علاقاته الخارجية وعادت سلطة البايات إلى أبناء الحسين محمد [1].

واستمر الوضع على حالة عند ظهور الدولة الحسينية التي ساهمت في التحكم في الإيالة أكثر من سابقاتها حيث باشر حسين بن علي في عزمه واستعمل حزمه لسد خلال البلاد وضبطها وتحصينها في تلك الفترة [2].

وفي سنة 1705 واكتمل نفود الباي حسين وشرعية حكمه بالبلاد بحصوله على اعتراف الباي العالي به وعندما منحه فرمان التولية في جوان 1706وبذلك استكمل شروط الملك والسيادة [3] وبعد انهزام إبرهيم الشريف[4] وأسر في منتصف شهر جويلية 1705وجدت البلاد نفسها مهددة بغزو وشيك من من طرف الجيش الجزائري يوم 9جويلية 1705[5] وبعدها آلت البلاد إلى خراب ودمار نتيجة لتلك الحرب التي انتصر فيها الجزائريون[6]

نضراً لهذه الحالة المزرية التي آلت إليها البلاد اجتمع أهل الحل العقد من العلماء وأكابر العسكر

(1) غلاب عبد الكريم : المرجع السابق ،ص351.

(2) أحمد ابن أبي الضياف :**إتحاف أهل الزمان بإخبار ملوك تونس وعهد الأمان**:،ط2، ج2،ص107

(3) دلندة الارقش ،آخرون :**المغرب العربي الحديث من خلال مصادره** ،مركز النشر الجامعي ميدياكوم ،2003،ص63

(4) **إبراهيم الشريف** : هو ضابط تركي عمل بعد عوداته من أستانبول على قتل مراد باي وكان به ذلك في جوان 1702م حكم تونس من 1702إلى غاية 1705عمل جاهداً من أجل إعادة أمجاد الطبقة العسكرية ، لكن مساعيه أخفقت بفعل معارضته الأهالي له . ينظر الوزير السراج : المصدر السابق ،ص 675، وكذلك الهادي الشريف : المرجع السابق ص 80

(5)محمد الهادي الشريف :**تاريخ تونس من عصور ما قبل إلى الاحتلال** ،تعريب محمد الشاوش ومحمد عجينة ،ط3,دار سراس للنشر تونس ,1993،ص81.

(6) خرنق مبروكة : **العلاقات التونسية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1705-1605)سياسياً وتجارياً** ، مذكرة الماجستر تخصص التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011-2012، ص30.

بتونس ونصبوا ديوانا لتوليه من يصلح لقيام بأمر البلاد والعباد فلم يجدوا أصلح من الصبايحية[1] . وفي هذه الصدد نجد أحمد بن أبي الضياف يصف هذا الموقف في كتابه إتحاف أهل الزمان قائلا ...وانقرضت دولة إبراهيم الشريف ولما بلغت المنهزمة إلى الحاضرة (مدينة تونس)جزع أهلها وخافوا هجوم الجزائريين عليهم وهم في فوضى بلا أمير يجمع عصابتهم ويدافع لهم عنهم فتفاوضوا في هذا الأمر الواجب شرعا وعقلا وهو البيعة الإمام واتفق أهل الحل والعقد من العلماء واكبر الجند واعيان الحاضرة على المبايعة لحسن بن علي، لما يعلمون من حميد خلاله وعزمه فخرج إليه أهل الحاضرة واطلبوا منه قبول بيعتهم وجمع كلمتهم فامتنع مصرا على عدم القبول فقال له العلماء يجب عليك القبول لاسيما والحالة هذه فأجاب دعوتهم ودخل معهم الحاضرة لقبول البيعة[2]. حيث نهج حسين بن علي في الحكم فقد أرتكز على سياسة داخلية قوامها التحالف مع الأعيان المحليين في المدن والأرياف ودمجهم دواليب الدولة وأجهزتها ،كما أعاد الاعتبار للمذهب المالكي وتقرّب من الزوايا والأولياء الصالحين وأتباعهم فمتّعهم بالإحسانات والامتيازات العديدة ،وقد استند في تركيز البناء الجديد في مختلف الأطراف الفاعلة في البلاد وذلك بمصالحة العناصر التركية التي احتفظت بجّل امتيازاتها السياسية والعسكرية [3].

عهد الاضطرابات في عهد علي باشا (1728-1756) :

عرفت تونس خلال هذه الفترة اضطرابا سياسيا ,وذلك بسبب قيام بن علي بنزع ابن أخيه علي باشا من ولاية العهد وتعويضه بأحد أبنائه ولجأ علي باشا إلى الجزائر واستعان بها في وصوله للسلطة وتميزت مرحلة حكمه بسلوكياته الدموية وتشدده في جمع الضرائب واحتكار التجارة . أظهرت تونس كدولة ذات سيادة وعزة وكرامة واستعداداته لمحاربة حكام الجزائر الذين يحددون الأسباب من أجل التدخل في شؤون تونس وذلك لمساعدة حلفائهم الفارين من تونس، طالبين

(1)**صبايحية** : حسين بن علي تركي والذي انتخب 12 جويلية1705 وهم فيلق من الفرسان بمثابة الجندرمة ومن قبائل مخزنية . ينظر محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ،ص78

(2) أحمد أبن أبي الضياف:المصدر السابق ج2 ,ص103

(3)دلندة الارقش :**آخرون** المرجع السابق ،ص63

المساعدة من الجزائريين للعودة إلى حكم مثل :علي باشا الذي استعان بباي قسنطينة عام 1735م بالإضافة أبناء حسين بن علي عندما استنجدوا بالجزائريين وهذا مقابل فرض اتاوات مالية عليهم [1].

وفي عام 1746 شنت حملة ثانية بعد عشر سنوات, وبدأ تدخل الجزائر في شؤون تونس واضحا وأثار فيما بعد حفيظة التونسيين.حيث كان علي باشا إبن أخ لحسين باي وقد عينه عمه وليا للعهد فبقي كذلك زمنا طويلا في حكم وأشدت في هذه الفترة ناقمين في البلاد من خلال استمالة عدداً من القبائل والطوائف التي لم تكن النظام يحسن معاملتها وقد أثارت هذه السياسية ردود فعل عديدة من ثورات أغرقت في سبيل من الدماء كانتفاضة عسكر الانكشارية في سنة 1743- 1752و كانتفاضة قبيلة الهمامة الكبيرة سنة1750 والأخطر من ذلك أن الأهالي تخلوا على النظام تخليا شبه تام وخاصة عندنا دقت ساعة الخطر سنة 1755[2].

***على الصعيد الخارجي** فلم تكن سياسية علي باشا دون سياسية الداخلية حدة فقد استولى سنة 1741على مركز الجيوش التجاري بطبرقة واسر جاليتها الأجنبية بأكملها ووضع حدا للوجود المسيحي في تلك البقاع بعد ان تواصل قرنين كاملين وكانت هدفه من تلك السياسية إجلاء التجار الأوروبيين من سواحل بعيدة عن نظرة وذلك قصد مراقبة المنتوجات البوادي مما أدى بفرنسا بقيام بحرب فانتهى الأمر إلى إبرام معادة صلح نوفمبر 1742مقابل شروط لعلي باشا[3] .

عودة الاستقرار وأوج الدولة الحسينية في عهد حمودة باشا (1756-1816)[4]انتفاضة اذكي لهيبها حفيد لعلي باشا سنة 1758بمناسبة وفاة محمد الرشيد وانتقال الحكم إلى علي باي لابن الثاني لحسين بن علي فكانت الحروب الأهلية من خلال تغلغل الرأسمالية الأوروبية داخل البلاد تونسية وبتكامل مصالح البايلك وإبراز رجاله .

---

(1) ناصر الدين سعيدوني :**الجزائر في التاريخ في العهد العثماني** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984،ص42.

(2) المرجع نفسه : ص43

(3)محمد الهادي الشريف:المرجع السابق. ص85.

(4) **حمودة باشا** :(1782-1814)ابنه مراد الثاني ويعتبر حمودة من أشهر بايات تونس اعتمد شخصيته القوية والعاصر المحلية في إعادة الاستقرار لتونس فجند الجيش واهتم بالتجارة وتمكن من مواجهة أطماع الدول الأوروبية خلال بداية القرن 19 ينظر : عبد الله مقلاتي ،المرجع السابق ,ص48.ينظر للملحق رقم 02

***على الصعيد الداخلي** : فإن سياسية علي باي كانت نفس القدر من المرونة والليبرالية فقد تخلي البايلك عن قسم من اختصاصاته في هذه الفترة .

كما أنّ حمودة باشا ورث بعض هذه الظروف عند موت أبيه في ماي 1782 وبفضل ما كان يتخلى به من صفات مكنته من استغلال بعض الظروف المواتية وارتقى هذا الأمير بالنظام الحسيني إلى أوجه وعندما تخلص حمودة باشا من الوصاية سنة1782 أراد ان يقلب السياسة الداخلية في البلاد رأسا على عقب .وأول ما قام به تجنيد عدد من القبائل التونسية حتى لا يبقى جيش الإنكشاريين ،وقد أدى ذلك إلى ثورة اليولداش في حين إلتف السكان والكراغلة حوله وانتهت هذه الثورة بتسريح الثوار جميعهم وفي هذه الفترة بذات تضاعفت مجهوداته لتحسين الأوضاع الداخلية لتعويض مردودات الجهاد البحري خاصة[1].

حيث شهدت الأزمات (مثل طاعون 1784-1785) ومجاعة 1804-1805وتقهقر ملحوظ في إرخاء البلاد.

1- بسب التحالف مع الأعيان من الأهالي في المصلحة تلك السياسية جاء بها حمودة باشا

2- وكذلك الإعتدال النسبي في نظام الجبائي الداخلي وأخيرا فإن العداء التقليدي للدولة والنظام ولى في عهد حمودة باشا وكل تلك الأعمال قد ساهمت في تنظيم أمور الايالة التونسية الذين سعوا إلى تطوير البلاد أكثر فأكثر ومهدوا للرقي[2].

وبالإضافة إلى كل ما قام به حمودة لضمان الأمن والاستقرار في البلاد فإنه شدد من عقاب المجرمين وخصص لهم سجونا كبيرة في جزيرة قرقنة التي تقع شرق البلاد التونسية بالقرب من مدينة صفاقس وكل هذه الإجراءات ساهمت في الأمن وهذا ما يذكره مقديش عن أهم مميزات عهده هذا الباي بقوله "...وقام بالأمر أي حكم البلاد أحسن القيام فأمنت البلاد واطمأنت العباد وساسهم بلطف

(1)محمد العربي الزبيري : **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث** ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ،ط2 جانفي 1985، ص52.

(2)محمود مقديش:**نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار** ،ط1،تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ،1988،مج2،ص170

واجتنبت الشدة والعنف أدامه الله في أمن وعافية وثبت على نهج الهدى والتقوى إقدامه ومن مزاياه الجليلة وأخلاقه الجميلة انه جمع شمل عزته من أخوته وبني أعمامه وكل ما ينتمي لنسبه الكريم وأنزلهم في المقام الأعظم والاحترام ..." [1].

وعلى إثر وفاة حمودة باشا 1814ينتقل الحكم إلى محمود ومنه إلى أحمد سنة 1824.وعهد هذا الأخير تقوم فرنسا باحتلال الجزائر فيلازم الحياد ولا يحرك ساكنا [2]

الاحتلال المباشر للأراضي التابعة للدولة العثمانية من طرف الاستعمار الفرنسي الذي كان كارثة على الأقطار الإسلامية عامة وعلى تونس خاصة حيث أنّ ذلك يعتبر هزة عنيفة أشعرت التونسية بالخطر الداهم الذي لا يمكن الهروب منه إذا لم يجابه المجابهة الحقيقية لتفاديه وذلك بالاتجاه نحو الأخذ بأسباب التقدم الحضاري والقضاء على التخلف الفكري[3].

حيث كان استيلاء الفرنسيين على الجزائر عام 1830مقرراً لمصير تونس المقبل فقد استرعت تونس أنضار المستعمر الفرنسي الذي شرع في تكوين إمبراطورية الاستعمارية في الشمال الإفريقي وحتى تتمكن فرنسا من تحقيق هدفها في بسط هيمنتها على تونس أعلنت أنّ تونس دولة مستقلة عن الدولة العثمانية [4].

(1)المصدر السابق :ص170

(2) محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ،ص54.

(3) الطاهر عبد الله :**الحركة الوطنية التونسية (1830–1856)** ,منشورات دار المعارف للطبع والنشر سوسة تونس، ط2، 1999,ص14

(4) أحمد إسماعيل راشد : **تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر** ،دار النهضة العربية بيروت لبنان ،ط1، 2004، ص91

المبحث الثاني :الأوضـاع الاقتصاديــة:

يعتبر الإقتصاد الركيزة الأساسية لتقوية الدول،لان الدول التي لا تحتوي على مبادلات تجارية قوية يعتبر من الدول الضعيفة لهذا نجد الدول العثمانية منذ بداياتها تحاول أنّ تساهم في تطوير هذه الايالة لكي تصبح في مصف الدول وهذا ما سعى إليه كل من الباشاوات الذين تداولوا على الحكم الدايات وأيضا البايات المراديون الأوائل كما الإيالة شهدت تأثيرات جديدة في المجتمع شاركت في إحياء هذه الأوضاع المتدهورة وهذه التأثيرات تتمثل في الهجرة الأندلسية أي وصلت إلى ثمانين ألف مهاجر سنة 1609اي عثمان داي الذي عرف كيف يستفيد منهم إلى أبعد الحدود وجعل من الهجرة انطلاقة لإقتصادية للبلاد التونسية[1] .

حيث عرف المجتمع التونسي في عهد العثماني صناعات تقليدية كانت تستمد موادها الأولية من الإنتاج الزراعي والحيواني بالإضافة إلى براعة الأسر التونسية التي تستطيع الدمج بين هذين العنصرين الأساسيين من اجل إنشاء صناعة تفيدها في حياتها اليومية وهذه المرحلة كان يقوم بها الفلاح عندما يكون في الاستقرار وتوفير الأمن عن طريق الدولة .

أما في حالة الصراعات الداخلية والاضطرابات فهي تساهم في هروب تلك الأسرى سواء من المدن أو من الأرياف إلى مناطق المعزلة وذات الطرق الصعبة وإنعدام الأراضي الخصبة وهذا ما ساهم في إضطراب الإقتصاد التونسي والذي دفع بالبايات الحسينيين ، وعلى رأسهم حسين بن علي إلى سعي وراءه من أجل المشروع الاقتصادي وخاصة في فترة علي باشا بن محمد ،الذي ترك أمور الايالة إلى قادة جنده وهي المرحلة التي عانت فيها الايالة ،أما عندما آلت الأمور إلى أبناء حسين بن علي[2] بدأت تظهر بوادر العمل والدعوة إلى الإقتصاد والتغلب على الأعداء وعدم الرضوخ لهم وخاصة بعد تدريب أبنه الذي خلفه من بعده ،وهو حمودة باشا الذي يعتبر عصره في العهد الحسيني بالعصر

---

(1) شوقي ضيف : **تاريخ الأدب العربي عصر الدولة والإمارات(ليبيا ,تونس ,صقلية)** دار المعارف ,مصر, 1992 ,ص138.

(2)محمد بيرم الخامس:**صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والاقظار** ،القطر التونسي ،ط1،دار مصادر بيروت ،بالطبعة الإعلامية بمصر سنة 1302هجرية ،ج2،ص209.

الذهبي وذلك بتشجيعه للإقتصاد التونسي بصفة عامة وللصناعات المحلية بصفة خاصة حيث يقول صاحب صفوة الاعتبار "...وكانت ولاة القطر من أحفاد حسين بن علي يعتنون بالاقتصاد وحمل الأهالي عليه بأوجه سياسية منها أنّ حمودة باشا رأى كثيرة لبس الشال الكشمير أي الطيلسان في الأهالي ،فاحضر من الشال المصنوع جربه عددا ولبس منه والبس رئيس الكتبة أيضا وخرج لذلك ألباس يوم العيد وفود الهناء وللصلاة وكان في أثناء إقبال الأعيان على هنائه يلتفت إلى رئيس الكتبة ويقول جهرة "...نعم الشال هذا صنع بلادنا فمالنا ولا صناعة أموالنا خارجها ..." [1].

لقد مرت تونس بحروب وصراعات أثرت بشكل سلبي في اقتصادها إلا أنّ حنكة بعض البايات قد مكنتهم من التحكم على الوضع وتذليل العقبات التي يعاني منها الاقتصاد وبالرغم من القفزة التي عرفتها الاقتصاد التونسي إلا انه عرف تقهقرا في المراحل الأخير من حكم الحسيني لقد ساهم الباي حسين بن علي مؤسس الدولة الذي دام عهده خمسا وثلاثين سنة إصلاح شؤون البلاد فانشر العمران في تونس ونشطت الفلاحة والصناعة والتجارة وتأسيس المنشآت كما أستطاع أنّ يصلح شئون البلاد ويقضي على نفوذ العصبيات المسلحة وبسط هيبة الحكومة واستعان لذلك بتكوين قوة حربية مجهزة تجهيزا حديثا كما انتشر العمران في تونس وازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة [2].

ومساهمة فعلية في تطوير البلاد بعد الدمار الذي عرفته في عهد المردين كما ذكر صاحب الإتحاف عن مساهمته في تطوير البلاد وقال "سعدت المملكة وأهلها بيمنه وامتلأت أيديهم بالمكاسب وأثار والأرض وعمروها بالحبوب والأشجار وخفف على الفلاحين من أثقال المغارم وقوى به الأمل وأغرى على العمل وتنافسوا في الصناعات وخصال الحميدة والناس على دين أميرهم [3].

تمثلت هذه الحياة من خلال ما يقوم به السكان من أعمال الزراعة والصناعة والتجارة بصورة عامة :

1- الصناعة :بالنسبة للصناعة فقد تميزت تونس لصناعة المنتوجات الحريرية والنقش على الرخام

(1) محمد بيرم الخامس:المصدر السابق ،ص209.

(2) أحمد ياغي إسماعيل :**العالم العربي في التاريخ الحديث** ،ط1الرياض،1997،مكتبة العبيكان ،ص139.

(3) أحمد ابن أبي الضياف ، المرجع السابق ،ص95.

والجبس [1]. حيث أصبحت الصناعة عنصرا لا يقل أهمية عن بقية النشاط الاقتصادي التونسي بحيث كانت الصناعات والحرف بسيطة تتم بالحالات القديمة ولكنها تمتاز بدقتها وجودتها إذا كانت المنتجات التقليدية التونسية منذ القرن السادس عشر متجهة نحو الأقطار التابعة للسلطة العثمانية والبلاد التركية وحتى الأقطار المسيحية الخاضعة للسلطة مثل البلاد اليونان وبلغاريا حيث تأثرت الصناعة بطرق عيش سكان تونس ولباسهم بالأساليب الإسلامية [2]

2- الزراعة : أنّ تونس كانت تعتمد على الزراعة أكثر من غيرها من الولايات الأخرى وخاصة أنّ طبيعتها المناخية وتربيتها الصالحة للزراعة قد ساعدت على ذلك وقد ارتبطت الزراعة في تونس بطبيعة ملكية الأرض وتقسيمها فكان هناك الأراضي الخصبة المحيطة بالمدن وكان هناك الأراضي التي تصادر من القبائل وتمنح لكبار الموظفين كما كان هناك الأراضي التابعة لقبائل معينة تمارس فيها نشاطها الزراعي والرعوي وكانت الحبوب والخضر والفواكه أهم منتوجات تونس وقد ساهمت هذه المحاصيل بنصيب كبير في حركة التجارة الداخلية والخارجية فقط نشطت حركة التجارة بين الولايات المغربية وبعضها البعض[3].

كما كانت تصدر كميات هائلة من الصوف والنسيج والزرابي والتي عرفت بها سكان جربة والجريد والعاصمة ونسيج الحرير التونسي الذي يشغل حوالي 8000 عامل في العاصمة بالإضافة إلى التطريز بالذهب والنقش عن النحاس والصناعة الأثاث والخزف كما أصبحت العاصمة التونسية سوقا من أسواق الأحجار النفيسة في العالم ودباغة الجلود التي عرفت بأنها مصدر نشاط صناعي كبير والأحذية التونسية وإنتاج العطور الطبيعية[4]

وهذه الأوضاع لم تقلل من قيمة الصناعة التونسية وقد حدث تغير يمثل في ارتفاع الواردات وتغير

---

(1)الجميعي عبد المنعم :**الدولة العثمانية والمغرب العربي** ،موسوعة الثقافية التاريخية والأثرية الحضارية التاريخ الحديث ،دار الفكر العربي ،ص64 .

(2) أحمد قصاب :مرجع سابق ،ص192 .

(3)الجميعي عبد المنعم:المرجع السابق،ص64 .

(4) عبد العزيز الثعالبي :**تونس الشهيدة** ،تعريب حمادي الساحلي ،محمد العروسي المطوي بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ص117.

تركيبة المبادلات فقد ارتفعت في الواردات نسبة المصنوعات خاصة (الشاشية)بينما تضخمت مكانها المنتجات الفلاحية وبالتحديد زيت الزيتون وأحيانا الحبوب التي بلغت نسبته 72 %سنة 1826كما تضرر الريال التونسي وتدهورت قيمته في ديسمبر 1824إلى الثلث وتدرج مع تغير الظرفية الخارجية والداخلية تدرج البيليك نحو استعمال بيع السلم (أي بيع الدولة زيت الزيتون للتجار الأوربيين قبل الإنتاج وعندها فرضت تقلبات الإنتاج مند 1828وذلك بتسديد التزاماته اتجاه هؤلاء التجار انجاز إلى التداين ليبدأ التسرب التجاري الأوربي في البلاد التونسية يتدعم بالتسرب المالي[1].

3- التجارة : أنّ مجتمع التونسي هو مجتمع ذو طابع زراعي رعوي بالإضافة إلى تطور الحرف والصناعات وهذا ما جعل للتجارة الخارجية مكانا هاما مما يعطيه صبغة الاكتفاء والتكامل بين مختلف المناطق وبين المدينة والريف وبين الأنشطة الزراعية والصناعات التقليدية.

أنّ نشاط المجتمع التونسي في المجال التجاري تميز بالانتشار والتوسع فقد شمل مختلف مدن القطر داخليا ليمتد الخارج.

تطور دور الأسواق في تنشيط التجارة وترويج المنتجات حيث أصبحت التجارة الخارجية محدودا من خلال الظروف التي آلت إليها البلاد بسبب وفاة الباي حمودة باشا وتولى وراءه ثلاث بايات لم يتحكموا في الأمور فالأول لا يملك الخبرة والثاني اعتلى العرش عن كبر والثالث يحب الرفاهية والتطور هذا ما أوقعه في الديون وعلى وزيره استطاع حل المشكل ولكن بعد ان تدهور أحوال البلاد والرعية وهذا نتيجة للعراقيل والحصار الذي فرضته عليه الدول الأوربية كما ان إمكانيات الدولة بمحدودة لم تكن تسمح لها بمنافسة الشركات العلمية وهكذا نلاحظ أنّ معظم الإرباح كان يستفيد منها التجار الأوربيون واليهود أنّ المجال التجاري تميز بالانتشار والتوسع فقد شمال مختلف مدن القطر داخليا ليمتد إلى الخارج[2].

ومن خلال ذلك كانت تونس تعيش في أوضاع تشبه إلى حد بعيد نظم الإقطاع التي ساءت أوروبا في

(1)خليفة الشاطر وآخرين :**تونس عبر التاريخ (الحركة الوطنية ودولة الاستقلال**) ,ج3,تونس مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية 2005,ص8.

(2)جلال يحي : **العالم العربي الحديث والمعاصر** ،المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية،دت ،ص240.

العصور الوسطى،وكانوا يتمتعون فيها بامتيازات مالية وسلطات إدارية وقضائية ،فساعد ذلك على سوء أحوال البلاد من النواحى الإقتصادية والاجتماعية والسياسية[1].

(1)جلال يحي : المرجع نفسه ،ص240.

المبحث الثالث :الأوضـــاع الاجتماعية:

أنّ عظمة الأمم المعروفة بالسيطرة والهيمنة على العالم هي اثر طبيعي لما مر عليها من مختلف الأحداث والظروف المملوءة بالمفارقات فالحروب والتغالب والامتزاج والاختلاط وتعاقب الحكومات هو أصل أولي في تكوين الشعوب الضخمة والمدينات الراسخة التي لا تنقرض مشاهدها في العالم .حيث خضعت تونس عبر الحقب التاريخية المختلفة لحضارات دول كبرى قدمت إليها من الشرق ومن الغرب حيث عرفت هذا القطر سكانه الأصليين من البربر وهم (الافر aher) الذين أورثوا اسمهم البلاد التونسية فعرفت (بافريقية) بل أورثوا قارة كاملة هي الربع المعمور من الدنيا[1]. وقد وصل أولا الفينيقيون إلى تونس فالرومان فالوندال فالروم البيزنطيون فالعرب فالأسبان فالترك ثم الإفرنج .وكانت هذه الأمم الفاتحة تفد عليه تباعا حاملة ثمرات كدها ونتائج سعيها وأصول نظامها وصور تشكيلاتها وطرائف معاشها وأنواع فنونها وصنوف لغاتها وكانت بمجرد توطنها واستقرارها تنشر لقاحها فيمن حولها من السكان بقصد أو بغير قصد ثم إنها لا تلبث ان تنعزل أرومتها وهكذا صيغتها الأولى وتندمج في العنصرية التونسية الخالدة وتساهم في إحداث تطور وإزهار داخل القطر التونسي بكل إشكاله[2].

قل أنّ تجد امة يكون الدم الساري في شرايينها من دماء عناصر شيء كالأمة التونسية فالعنصر التونسي الأصلي الذي هو من جنس البربر اختلاط دمه في البداية بدماء العناصر النازحة لافريقية على عهد دولة قرطجنة وهم أهل سواحل الشام من فينيقيا وكثير من يهودها [3].

حيث تعتبر أن بنية السكانية للمجتمع السكانية للمجتمع التونسي نجدها تحتوي على خليط من الأجناس و الأعراف وقد تكون الاختلاف الوحيد بين الدول في مدى ارتباط وانسجام سكانها وهذه ما نجده في سكان المجتمع التونسي ، وعند وصول هؤلاء الوافدين إلى تونس ،استقر معظم المهاجرين

---

(1) حسن حسيني عبد الوهاب :**كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**,ج1 ,ط1 ,1990 , ص32.

(2) المرجع نفسه ص32.

(3) محمد بن خوجة ,تقديم وتحقيق , الساحلي الجيلالي بن الحاج يحي ,**صفحات من تاريخ تونس** ,دار العرب الإسلامي بيروت ,ط1,1986,ص221.

الأندلسيين الأوائل في تونس الحاضرة حيث كان من بينهم أمراء سابقون علاوة على العلماء والأدباء والشعراء وقد استخدم هؤلاء في مجالس السلاطين أما الذين هاجروا من مملكة غرناطة بعد سقوطها في أيدي النصارى في سنة 1492،فقد نزلوا في تونس والقيروان[1] وسوسة [2] ونفطة[3] وصفاقس[4] وغيرها من حواضر تونس .أما المهاجرون المورسكيون الذين استقروا بتونس في عهد عثمان داي في أوائل القرن 17م فقد وزعوا على عدة مناطق إذا كانوا من الكثرة بحيث لم يكن ممن الممكن ان يستوعبهم مدينة تونس ولهذا السبب فقد منحوا حرية الاختيار في النزول حيث شاءوا [5] حيث تضاعف عدد المتساكنين في القرن 18 عشر تضاعفا ملحوظا لانعدام الأوبئة من 1705 إلى 1784 وتجمعت قوى البلاد الحية طوال أجيال ثلاثة فكانت حافزا لنشاط للإنتاج والاستهلاك والتجارة وذلك ما يفسر الازدهار سنوات (1765-1775) المذهل ذلك الازدهار الذي يعود الفضل فيه إلى تضاعف عدد الرجال وإلى تعاقب سنوات كانت فيها المحصولات الفلاحية طيبة وإلى حيوية السوق الخارجية وإتساعها ولئن احتكرت طبقة المحظوظين جل ثمرات هذا الإزهار فانه لم يحل من بعض الانعكاسات الطبية على حياة بقية أفراد المجتمع ورغم عودة المجاعة في (1775–1777) والطاعون الجارف في (1784–1785).

فإنّ إنطلاقة القرن 18في رأي الكاتب لم تنتكس في ذلك الوقت فقد لا تكون تلك الأزمات سوى دليل على فائض ديمغرافي قد تجاوز مستوى الموارد المتوفرة في البلاد ولعله لم يكن الوباء

---

(1) **القيروان** : مدينة أصيلة أسسها عقبة بن نافع رضي الله عنه على بعد 36ميلا من البحر المتوسط 100ميل من تونس ينظر: حسن الوزان : **وصف إفريقيا** ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، ج2، 1983،ص87

(2) **سوسة** : يذكر الوزان بأنها مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل المتوسط تبعد 100 ميل عن مدينة تونس :ينظر حسن الوزان : المصدر السابق ، ج2، ص83

(3) **نفطة** : هي عاصمة بلاد الجريد تشمل على المدن التلية توزر ، الوديان والحامة جعل سكانها من التجار والفلاحين .ينظر : محمد العربي الزبيري : **التجارة الخارجية** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ص 154

(4) **صفاقس** : يصفها ليون الإفريقي قائلا هي مدينة عتيقة بناها الأفارقة على ساحل متوسط أيام محاربتهم للرومان وهي مدينة كبيرة محاطة بأسوار عالية ومتينة .ينظر : حسن الوزان: المصدر نفسه ، ج2 ، ص87 .

(5) –كمال السيد أبو مصطفى : **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس** ،مركز الإسكندرية للكتاب ،مصر ،2003،ص226.

(1784-1785) ولعودته بعد ذلك من أثر يذكر سوى إعادة التوازن بين عدد السكان وحجم الموارد[1].

حيث شهدت الأحوال الصحية وتعدد الأمراض والأوبئة من العوامل التي تتسبب في تأخير المجتمع وضعفه نظراً لما تلحقه من أضرار بالقطاعات الاقتصادية والاجتماعية والنمو الديمغرافي ونحاول معرفة الوضع الصحي للمجتمع التونسي في فترة الحسينية .

حيث شهد المجتمع التونسي عدة أوبئة التي انتشرت في عهدهم حيث حاولوا النهوض باقتصادهم ونذكر من تلك الآفات مايلي:

في سنتي 1777-1778م : وفي هذه السنة حل وباء جارف ومجاعة شمال البلاد بأسرها مات فيها خلق كثير وماشية عديدة أدى إلى نزوح الأهالي من الأرياف إلى المدن.

وفي سنة 1783م :وقع بالمملكة طاعون جارف وهو المعروف عند أهل الحاضرة بالوباء مات بسببه كثيرون[2]

و**في سنة 1784** وفي هذه السنة ظهر وباء كبير حيث قتل العديد من السكان ويذكر مقديش في كتابه "...وكان الطاعون بأرض المشرق من مصر وبلاد الترك فلما كانت سنة 1788م ظهر بجمال من بلاد الساحل واستمر إلى تونس..."وكان عدد الضحايا مائة وخمسة وثمانون ألف .

وفي السنة 1785م أرست سفينة بمدينة سوسة آتية من استانبول وكانت حاملة أناسا مصابين بالطاعون ومن تلك المدينة انتشر الوباء في كامل البلاد التونسية وفي هذا الصدد يذكر مقديش قائلا"... وفي أول سنة 1785م, عم الطاعون في أفريقيا وطرابلس والجزائر وفي شهر ربيع الأول ضرب لصفاقس رجل ومات من يومه وأصيب آخر وأخر ثم كثر وتضاعف حتى انتهى لنحو مائتين وخمسين في كل يوم ببلد صفاقس وحصر من مات من صفاقس في أيام الطاعون فكان نحو خمسة عشر ألفا

(1)محمد الهادي الشريف :**تاريخ تونس من عصور ما قبل إلى الاحتلال** ،تعريب محمد الشاوش ومحمد عجينة ، ط3،دار سراس للنشر تونس ،1993،ص92.

(2) أحمد ابن أبي الضياف :المرجع السابق،ج3،ص14.

وفي النساء أكثر منه في الرجال... ومات أكثر أهل الخير والإصلاح وحملة القران العظيم وأكثر الفقهاء واسودت الدنيا في أعين أبنائها وايس الناس من حياتهم ..." [1].

(1) مقديش :المصدر السابق ,ص188

المبحث الرابع : الأوضـــاع الثـقافية:

حيث شهدت تونس خلال العصر العثماني نفس المظاهر التعليمية والثقافية التي كانت موجودة قبله فقد تم اهتمام بعلوم القرآن والفقه والسنة النبوية والأدب والنحو والصرف وكان الجامع الزيتونة اليد الطولي في ذلك .

كما شهدت هذه الفترة انتقال العلماء من منطقة لأخرى وكان نظام الكتاتيب النظام السائد خلال هذه الفترة وكان التلاميذ يتلقون فيه العلوم الدينية وأصول النحو واللغة العربية . حيث كان يطلق على الكتاب في المناطق الحضرية كلمة "المسيد" وهي تحريف لكلمة مسجد وكان يوجد ذلك"المسيد" قرب الجامع وأحيانا يكون جزءا منه ويوجد كل من المسجد والمسند في كل حي عند نهاية الشارع وتقاطع الطرق وتكون على مكان مرتفع نظرا لرفعة شأن القرآن الذي بتعلمه التلاميذ منه وإلى جانب ذلك فقد أسس الحفصيون في تونس من المدارس التي ساعدت على إحياء نظام المالكي ومن أبرز علماء تونس خلال هذه الفترة الشيخ محمد بن أبي الفضل خروف الانصارى التونسي 1558م ومحمد بن سلامة خطيب جامع الزيتونية في تونس 1585م[1] .

حيث عرفت الحياة العلمية والفكرية في تونس على قدر كبير من الهزال وشبهها أحمد أمين بالحالة التي كانت عليها مصر قبيل عهد محمد علي باشا وهي كتاتيب بدائية منتشرة في القرى والمدن قامت مقام المدارس والجامعات غايتها تحفيظ القران والحديث والطرق والفقه واللغة والنحو[2].

لتحسين القراءة والكتابة كما هناك جزء كبير من السكان لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادتين ولا يضل إليهم شيء من علم إلا في بعض الزوايا والكتاتيب أما الجاليات الأجنبية فكانت لها مدارس تعلم أبنائها وقليلا من أبناء البلاد المحظوظين" اللغات والجغرافيا والتاريخ والحساب والجبر والهندسة "[3] .كان على رأس الكتاتيب الموجودة في تونس" جامع الزيتونة "وهو صورة مصغرة من الأزهر في ذلك العهد وأختلف المؤرخون التونسيين في مؤسسة والأصح أنّ الذي أسسه هو عبيد الله بن

(1) المرجع نفسه ، ص61.

(2) أحمد أمين :**زعماء الإصلاح في العصر الحديث** ,بيروت ,دار الكتاب العربي ,ص ص148-149.

(3) أحمد أمين :المرجع السابق ,ص148-149.

الحبحاب[1]في العام الرابع عشر من القرن الثاني للهجرة وجمع ابن دينار أنّ حسان هو الذي فتحها (أي تونس) وبنا بها مسجدا وعبيد الله بن الحباب وغيرهم... [2].

حيث شهدت الفترة (1740-1756)حيث أشتهر في تاريخ تونس بتشجيع للعلم والعلماء ومن أشهرها علي باشا والذي كان هو نفسه على قدر كبير من العلم وقد جمع في قصر باردو مكتبة بحوت كثير من المخطوطات الناذرة منها لجامع الزيتونة وقد اهتم بتأسيس وتزويدها بحاجتها من كتب وغيرها والتف حوله لفيف من الأدباء والعلماء [3].

-إنّ تونس كانت تزخر بحشد من العلماء تحصلوا على تشجيعات من البايات الذين أدركوا أهمية إكتساب شعب مثقف مع توفير له جميع ظروف الراحة والتعليم ومساهمتهم في نشر العلوم والفنون داخل الايالة . وظهور العديد من الأدباء الذين يألفون كتبا يصفون فيها حالة البلاد في العهود التي يعيشون فيها سواء مع البايات الذين يحبذون الصلاح للبلاد والذين يسعون وراء السلطة دون الاطلاع على الأحوال الرعية.

حيث كانت الحياة الفكرية في تونس في القرن الأول من الحكم الحسينيين تغلب عليها الصبغة الدينية والتمسك بعلوم الأوائل .وبالرغم من وجود الجاليات الأوروبية في تونس فإن العلوم التي كانت تلقى في الجوامع والمدارس لم تخرج عن العلوم الدينية وعلوم العربية والبيان وحتى المدارس التي أنشاها البايات في القرن الثامن عشر لم تخرج عن تلك الوتيرة في التعليم ,وهذه المدارس هي:

المدرسة الحسينية والنخلة (بناها حسين باي) , والمدرسة الباشية والسليمانية ومدرسة بير الحجار وحوانيت عاشور (أنشاها علي الأول 1755) والمدرسة الجديدة (بناها علي باي الثاني 1782)

---

(1) **عبيد الله الحبحاب** :كان رئيساً وأميراً جليلاً وكاتبا بليغاً وحافظ لأيام العرب وإشعارها ووقائعها وأخبارها وكما يقول الشعر وهو الذي بني الجامع ودار الصناعة بمدينة تونس والى افريقية في عهد الخليفة الأموي من ابرز أعماله بناء وتجديد جامع الزيتونة .ينظر:للرقيق القيرواني ،تاريخ افريقية والمغرب تقديم وتحقيق وتعليق دكتور محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجانى للنشر والتوزيع ،ط1، 1994،ص66.

(2) أبي عبد الله بن أبي القاسم القرواني : **المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس**، تحقيق محمد شام تونس,في طبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية 1656,ط1,ص15.

(3)شوقي عطا الله الجمل : **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا –تونس –الجزائر– المغرب**)ط1977,1 , مكتبة الانجلو المصرية، ص111.

حيث كانت العلاقة حمودة باشا باشا 1814الذي كانت لتونس في أيامه علاقات وطيدة مع الممالك الأجنبية مثل فرنسا والدانمارك واسبانيا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها وظهرت في عهده تفكير إصلاحي جديد سجله لنا التاريخ تأثرا بحدوث الثورة الفرنسية (1789) في عهده كذلك ارتباطه بصداقه وطيدة ومتينة بينه وبين نابليون الأول ,وغير ذلك من العوامل المؤثرة .ولا شك ان عهد حمودة باشا كان بمثابة التربة الصالحة التي زرعت فيها بذور تفكير متطور جديد نما في عهد بايات أربعة خلفوه ثم أعطى ثماره في عهد المشير أحمد باشا باي (حكم 1837-1855)[1]

شهدت الحياة الثقافية في الفترة الحسينة ,تطورا ملحوظ لإن العلماء الأدباء والشعراء تحرروا من سيطرة الحكام وأصبح كل واحد منهم يحاول أنّ يظهر رأيه دون خوف.

كما أصبح الحكام يستعينون بالعلماء في أمور الدولة سواء منها الداخلية أو الخارجية،ويذكر صاحب الإتحاف بقوله "...كان هذا الفاضل من علماء هذه الأمة المحمدية,أية الله في الحفظ والثبات آخذا مأخذ المجتهدين في تعليل المسائل الفقهية بمدارك أصولها الشرعية وتصرح بأنه من أهل الترجيح ولم ينكره أحد عليه بل يعتمدون ترجيحه عند تسليم الدليل ويستفتي من حاضرة العلم فأس ومن قسنطينة والجزائر وطرابلس ويجيب بالكتابة ..." [2].

وبحق تفتتح هذه الأسرة الحسينية عصراً جديداً بتونس ظل يواكبها إلى أخر في هذه العصر الحديث وكما أكثروا من إنشاء المدارس بالاهتمام بجامعة الزيتونة وعلمائها من كل صنف فأكثروا أيضا من الإهتمام بالشعراء والأدباء وبذلك ظلت بتونس حركة أدبية ترافقها طوال عصر الدولة الحسينية وممن نتلقى به شعرائها في أول العهد بها أبن أبي دينار صاحب كتاب المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس وأحمد برناز ومحمد الوزير السراج صاحب الحلل السندسية ومحمد الخضراوي ومحمد سعادة وإبراهيم بن القاسم الخراط وغيرها من العلماء [3].

ومن تدابير حمودة باشا الدينية إبطاله لبعض التقاليد والبدع ذات الطابع الديني التي كانت في تونس

(1)رشاد الإمام :**التفكير الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور قانون" عهد الأمان** ",دار سحنون للنشر والتوزيع تونس ,ط1,2010,ص15.

(2)أحمد ابن أبي الضياف , المصدر السابق ,ج8,ص12.

(3) شوقي ضيف :المرجع السابق ,ص216.

منها أنّ خطة إمامة الجامع الأعظم جامع الزيتونة كانت محصورة في عائلة البكري يتوارثها الأبناء عن الآباء وفي سنة 1812م توفي الشيخ علي البكري إمام الجامع فاقترحوا ابنه القاصر إلا أنّ الباي اعترض الأمر وقرر تعيين أبو محمد حسن ابن الإمام الشيخ عبد الكريم الشريف وانتزعها من أسرة البكرين كما قام باتصال تلك التقاليد الخاصة بتحكيم المذهب الحنفي وهو المذهب الذي كان عليه البايات ومن جرى مجراهم ممن يرجع نسبهم إلى الأتراك العثمانيين في ثبوت أهله الشهور وأمر بإعتماد المذهب المالكي في ثبوت تلك الأهلة ومند ذلك الحين باشر القاضي المالكي ذلك الأمر واستمر عليه[1].

حيث أنّ الحياة العلمية في تونس كانت في تحسن ملحوظ في عهد البايات السابقين وفي هذا الصدد يضيف صاحب الإتحاف "...هو الذي أحيا رسوم العلم وأيقظ أجفان طلبته بعد إعفائها بالتفاهة إلى أهل العلم بالصلات المتوالية والإكرام والتعظيم والمجالسة والمسامرة بحيث لا تخلو مجلسه منهم واكتسب بذلك مشاركة لاسيما في الحديث والفقه والتاريخ و وزرع دخل الجزية بتمامه بين المدرسين والمتأهلين من الطلبة ...[2].

وكذلك شهدت تونس في هذه في الفترة الوباء الذي اجتاح البلاد في السنة الثانية من تولى حمودة باشا العرش أي 1783فقد العديد من العلماء وهي كارثة يذكرها مقديش بقوله ومات أكثر أهل الخير والصلاح وحملة القرآن العظيم وأكثر الفقهاء والعلماء وأسودت الدنيا في أعين أبنائها يأسى الناس من حياتهم [3].

حيث كان التعليم متأخراً في تونس ولا يزيد عن دراسة القرآن والأحاديث وبعض الفلسفة وكان معظم الاهالى لا يتمكن من تحصيل أي قسط منه،وأخيراً فعلينا أنّ نذكر أنّ محاولة الإصلاح لم تكن سهلة بعد أجيال عديدة عاشت في جمود وكان أهالى المدن يرفضون الإصلاح ،كما كان في أبناء البادية يحترمون التقاليد ويحاربون كل من يحاول تغييرها وتعديلها كانوا يحترمون القوة أكثر من

(1) أحمد ابن أبي الضياف ,المصدر السابق ,ج3, ص ص87-88

(2) المصدر نفسه ،ج2,ص ص171- 172

(3) مقديش ,المصدر السابق ,ج2,ص80

احترامهم للقانون ،وكان يلزمهم كثير من التعليم حتى يتمكنوا من التطور وحينما شعرت تونس بضرورة الإصلاح وجدت أنّ هذه العملية ستكلفها الأموال والنفقات ،وأنّ هذه الأموال ستعمل على زيادة نفود الأجانب في البلاد ،وبدأت تونس في التطور وعملت على الإصلاح [1] .

نستنتج من خلال دراسة الفصل الأول :

– أنّ الأوضاع في تونس قد شهدت عدة تغيرات من خلال محاولات بايات الأسرة الحسينية بناء الدولة التونسية بأسس حديثة إعتماداً على العناصر الوطنية ،وهو ما أعطى تونس ميولا قومية مبكرة ،وقد حاول ببعض البايات في ظل استقرار الوضع الأساسي الأخذ بأسباب التقدم وعصرنة البلاد لكن الظروف الداخلية والخارجية القاهرة وطبيعة نظام الحكم كانت تنخر جسم الدولة وتؤول بها للوقوع تحت الهيمنة الاستعمارية .

–إنّ الوجود العثماني في البلاد التونسية قد ساهم في تطويرها وإدخال أجناس مختلفة وإظهارهم لثقافاتهم وخبرتهم في كل المجالات .

– كما ساهمت هذه الدول التي مرت بالقطر التونسي من ترك طبائعهم المختلفة وأصبحت في مصف الدول والتغلب على منافسيها.

– إنّ ظهور الدول الحسينية في قطر التونسي وضع قواعد أساسية لتقوية الحكم والقضاء على الفساد على يد مؤسس الحسين بن علي.

–كما ألقت هذه الدراسة أضواء على أوضاع التي ظهرت على النظام الحسيني من خلال إبراز أهم مميزاته على المجتمع ،انطلاقا من بداية ظهوره على يد الباي حسين بن علي الذي عينه أهل الحل والعقد بايا عليهم أثرى انهزام إبراهيم الشريف أمام الجيوش الجزائرية التي أخدته كأسير لديهم سنة 1702م ومند هذه الفترة باشر الباي في أعماله حيث أعد ترميم ما خرب قبله ونجح في نشر الأمن والاستقرار في الايالة، مساهمة البايات الجيش في توطيد العلاقات الخارجية مع الدول الأوروبية والسعي إلى تحسينها وذلك قصد الترويج للاقتصاد التونسي وإعتنائهم بوضع الفلاحين وتنظيم طرق وتشجيعهم على ممارسة صناعاتهم البدوية وتنظيم الأسواق لهم ،هذا ماأدى إلى تنوع العملة في

(1) جلال يحي :المرجع السابق ، ص240

السوق التونسية بالإضافة إلى ظهور العديد من الصناعات التي عمدت تونس إلى تصديرها ،مثل صناعة الشاشية .

– توافد العديد من الفئات الاجتماعية خلال القرن الثامن عشر إلى تونس لما تتوفر عليه من ظروف الاستقرار التي وفرتها الدولة الحسينية ،كما أظهرت الدراسة إسهام البايات في تشجيع الاقتصاد حيث عرفت الاستقرار الذي عرفته الايالة ساهم في زيادة النمو الديمغرافي ،إلا انه تأثر بالكوارث الطبيعية التي عرفتها الايالة خلال القرن 18 . يعتبر الامتزاج الفعلي الذي عرفته المجتمع التونسي يعود إلى كثرة توافد العناصر من الدول المختلفة أما المجتمع الريفي فقط حافظ على تركيبته السكانية بعدم تعرضيه للمؤثرات الخارجية.

– حيث شهد دخول عدد من فئات اجتماعية حيث كانت على أساس الأهداف المادية والسياسية وبالرغم من الصراعات التي كانت قائمة بين الأتراك العثمانيين والاعراج الكراغلة فان المصالح المشتركة قد وحدتهم وعرف الأرياف خالدين حافظوا على عادتهم وتقاليدهم السابقة. حيث شهدت في هذه الفترة الأسرة القرمنلية من الصراع أدى بالكثير من أهلها إلى الفرار إلى الحاضرة والذي قام به علي برغل في الاستيلاء على السلطة في أوت 1793حيث استنجاد علي باشا القرمنلي بباي تونس وهو حمودة باشا الذي استطاع إرجاع الحق لصاحبه وذلك في جانفي 1795 ومن النازحين إلى تونس نجد عدد كبير من اليهود المضطهدين في طرابلس.

–استقرار العديد من التجار المسحيين الذين اجتمعوا في شكل جماعات وأهمها المجوعة الفرنسية التي كانت وراء التدخل الأجنبي وفرض سيطرته على الاقتصاد التونسي.

– وفي فترة الباي علي باشا بن حسين بن علي كثير عدد الوافدين على تونس لذلك اضطر إلى منحهم المنطقة المحاذية سور المدينة .ظهور فئة معرفين بالعزباء وتعني بهم السكان الذين ليس لهم كفيل يكفلهم وأغلبهم المتشردين ومنهم من كان له مأوى خاص به ومنهم من كان يعيش على هامش المجتمع وملجأهم الأسوار والمساجد والأضرحة.

ان المجتمع الحسيني عرف بتطور كبيرا في الجانب الثقافي نتيجة اهتمام البايات الحسينية نبه وهذا ما يظهر من خلال انتشار المؤسسات الثقافية الحاضرة وخارجها.

كما قام الحكام البايات الحسينيين للعلماء وتوفير لهم كل الظروف الملائمة للاستقرار هذا مساعد طلاب العلم من كل البقاع على المجيء إلى الايالة من اجل التمدرس.

-كما تطور الجانب الديني أيضا في الحاضرة بفعل العلاقة الجيدة بين الحكام ورجال الدين يقدمون أشاراتهم الصائبة للبايات الحسينيين.

ظهورا لعديد من المؤسسات الثقافية والدينية في القطر التونسي منها المدارس والجامع و الزوايا التي تطورت بفضل مساهمات الحكام وتلك الأوقاف المقدمة إليها من طرف العائلات ,كما أدت هذه المؤسسات وظائف عديدة منها الوضيفة الاقتصادية التعليمية والثقافية وهكذا نلاحظ ان الحياة الاجتماعية في تونس خلال الفترة الحسينية قد عرفت تطور في جميع النواحي خاصة في المجالس الثقافية والدينية ساعد على تطوير المستوى الاجتماعي للرعية حيث أصبحت من الدول التي تشمل على اكبر المؤسسات التعليمية وكمثال على ذلك نجد جامع الزيتونة.

الفصل الثاني :

الحركة الإصلاحية وروادها في تونس

1- المبحث الأول :خير الدين باشا.

2- المبحث الثاني: أحمد بن أبي الضياف.

3- المبحث الثالث: بيرم الخامس.

4- المبحث الرابع :عبد العزيز الثعالبي.

صادف القرن التاسع عشر بداية الإفاقة في العالم الإسلامي الذين بلغوا شعوبهم رسالات الإصلاح السياسي والاجتماعي والديني والفكري وأناروا السبيل للمسلمين وحركوا سواكن نفوسهم وبثوا فيها الوعي وبفضل جهودهم جميعا ثارت الجموع في العالم الإسلامي تحطم القيود وتتحرر من ضروب الإستبدد ،حيث قامت الحركة التي كان شأنها أنداك ومازالت إلى اليوم محل تقدير الباحثين أي الإصلاح الدستوري فهو نوع من الإصلاح فرضه واقع تونس في سياستها متفتحة طوعاً أو كرهاً على الغرب وخاصة فرنسا بروحها الديمقراطية المتشبعة بالعدل وبتقدمها الصناعي والحضاري وكذلك في تعلقها بأحكام شريعة الإسلامية وكان لخرجي جامع الزيتونة الذين تحملوا المسؤوليات السياسية واحتكوا بالغرب وشهدوا ضغوطه وتدخلاته النصيب الأوفر في القيام بهذه الحركة ومن هؤلاء نذكر ابن أبي الضياف وخير الدين و وبيرم الخامس وعبد العزيز الثعالبي . وقد خصصت هذا الفصل للحديث عن رواد الحركة الإصلاحية في تونس وقسمته إلى أربعة مباحث لكل مبحث رائد ودوره في الإصلاح وكيف كان الإصلاح في عهدهم؟ و ما هو الدور الذي قام به المصلحين؟

المبحث الأول : أحمد بن أبي الضياف 1874/1804 م:

1- حياته:

لقد ولد أحمد بن أبي الضياف سنة 1804م 1214 هـ وهو ينحدر من عائلة تنتمي إلى فرع من قبيلة أولاد عون العتيدة وسيكسب عائلته فيما بعد شهرة واسعة ولو أنها كانت تتمتع من قبل بحظوة مترتبة انتسابها بتلك القبيلة الفخورة بأصلها العربي وعصبيّتها المنيعة التي صانتها من كل امتزاج [1]. واعتباراً لما كانت تتمتع به عائلة ابن أبي الضياف من نفود أدبي ،فقد حرص والد الطفل على إعطاء ابنه تربية مطابقة لمنزلته الاجتماعية حيث مند بلوغه سّن الخامسة والسادسة ،حيث دع صيته ، سهر على تعليمه القرآن الكريم وبعض المبادئ الإسلامية الأساسية وتبعاً لما كان يمتاز به الصبّي من قوة الذاكرة حيث درسا العلوم النقلية والعقلية على أيدي نخبة من مدرسي جامع الزيتونة البارزين في ذلك العصر حيث تم توجيه نحو التدريس كي يضيف عنصراً بارزاً آخر إلى نخبة العلماء الأجلاء الذين تفتخر بهم الجامعة الزيتونية العريقة وكان يتمتع بحسن سياسي ومرونة فكرية وأخلاقية[2].

2-فكره:

بدأ ابن أبي الضياف تأليف كتابه القيّم 1861سنة إعلان الدستور ،واستمر في كتابه إلى ما بعد سنة 1872 .وإذا حاولنا رسم أهم الأفكار التي وردت في كتاب بعد ثورة 1864وجدناها تتميّز بالدعوة إلى ثلاثة قضايا أساسيا على الأقل[3]:

-الأول: تشبّت الملف بالدعوة إلى وجوب إدخال الحياة الدستورية في البلاد على الرغم من النّكسة

-الثانية : معارضة للسياسة الاقتصادية التي كانت تسير عليها الدولة وهي السياسة التي أمعنت في تفقير

(1) ينظر للملحق: رقم 04

(2) الصادق الزمرلي :أعلام تونسيون ، ص71.

(3)رشاد الإمام: مرجع سابق ، ص418.

الرعيّة وتشريدها .وانتهت إلى الإفلاس العام ورمت بالبلاد إلى الاقتراض من الخارج.

الثالثة : تذمّره من الوضع الضالم بتونس إلى حدّ جعله لا يمانع في طلب المظلومين الاحتماء بإحدى الدول الأجنبية[1].

3-كتبه:

إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان: يعتبر الصورة التي أراد أن يقدمها لنا عنها بتخوفتها وبحرزاتها وإقبالها وحماسها ومطامحها وآمالها والذي نتلمسه من خلال قراءة "الإتحاف "وهي صورة المثالية التي يجب أن يكون عليها السياسة الشرعية هذه الصورة التي رسمها بمنعزل عن السياسة لنفسه ولمعاصريه وللتاريخ فرجل الدين الذي احتك بالسياسة فلم يفقده لا ضميره الواعي ولاحسه النقدي،يراقب أحداثها عن كتب وبسردها ويعبر عنها معيار الشريعة ،سواء في مقدماتها النظرية أم في تاريخه الشبيه بالحوليات[2]وقسّمها إلى ثلاثة أصناف أولا نضام الحكم المطلق ،والثاني الحكم الجمهوري والثالث نظام الحكم المقيّد بقانون .حيث انه يقلّد ابن خلدون في تصدير تاريخه وهو متأثر به في محاولته تطبيق نظرياته في قيام الدول وانحطاطها وسير الحضارة ونموّها ،وهكذا يبلغ المؤرخ بتفكيره الإصلاحي إلى النتيجة التي يرمي إلى بلوغها وهي أن العمران البشري لا يستقيم أمره بدون تلك القوانين الضابطة لأنها "سياسة معرفة محفوظة ينتظم بها أمره ..."[3].

ولعلّ من أبرز الأدلّة على شدّة إيمان أحمد بن أبي الضياف وتعلّقه بالقوانين الوضعيّة الحديثة باعتبارها الرّهان الأعظم لضمان التطوّر والتقدم والتمّدّن على غرار الدولة الأوربية هو عنوان مؤلّفه الفذّ الذي يتألّف من ثمانية أجزاء [4].ذلك التأليف الذي سيخلّد ذكره ويصبح مرجعاً ثابتاً لكلّ من يودّ التعرف

---

(1) مرجع السابق :ص 418

(2)**الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر** ،سلسلة نداوات ومناظرات رقم7، أيام دراسة1983:، مملكة المغربية جامعة محمد الخامس ،بالرباط، ص157

(3) رشاد الإمام: مرجع سابق ، ص ص419-425

(4) المرجع نفسه : ص421.

على أحوال هذا البلاد خلال الثلاثة قرون المنصرمة وهكذا فبعد ما خدم بإخلاص أربعة ملوك متعاقبين أبى إلا يعبرّ في كتابه ومواقفه عن السياسة التي أوحوا بها إليه[1].

4-الحركة الإصلاحية في عهده:

أ-الإصلاحات السياسية:

يظهر أن ابن أبي الضياف تنبّه بعد النكسة التي حلّت بالإصلاح إلى أنّ أهمّ مستلزمات الإصلاح أولى ضمانات نجاحه ، ويرى المؤلّف أن شيئاً من الإصلاح لا يمكن أن ينجح إلا بإدخال الحياة الدستورية في البلاد وسنّ القوانين الضابطة من خلال تذمّره من الوضع القائم بصفة غامدة سنة 1864حيث أصبح ابن أبي الضياف شديد التذمّر من الوضع بتونس ولعلّ ذلك نتج بعد تزايد ظلم الباي ووزيره ،وبعد رجوعهما إلى الحكم المطلق غير المقيّد وبعد ترك المصلحين للبلاد ولم يجد للأمر مخرجا فأصبح يغبط الجزائريين في حماية فرنسا لمصالحهم بتونس أولا ثم تندرج في إيمانه بفكره الاحتماء من الظلم إلى حدّ جعله يؤيّد بل ويشجّع تدخّل إحدى الدول الأجنبية لحماية المظلومين من التونسيين[2] . ومعلوم أنّه كان ينتقد على العلماء عامة عدم مساهمتهم في الحركة الإصلاحية بالبلاد وكان قاسيا عليهم خلال صفحات عديدة من كتاب إتحاف أهل الزّمان ويعلق قائلا : وكيف يسوغ التقصير في واجبه المجلس من أئمة وأعيان ؟ فأنتم أحقّ النّاس بالمثابرة على ما فيه[3] .

ب- الإصلاحات الاقتصادية:

لقد ظهرت دعوته تلك من خلال معارضته للسياسة الاقتصادية التي كان يطبقها الباي اعتماداً على ثروة البلاد هي عبارة عن ثروات الأهالي مجتمعة ،هي عزّها وقوتها ويبدأ بتقرير أنّ سبب فقر البلاد هو الأموال الطائلة التي أنفقها الباي وجماعته في أمور لا حاجة إليها.

---

(1) الصادق الزمرلي :المرجع السابق ، ، ص75

(2) رشاد الإمام: مرجع سابق ، ص418.

(3) أحمد الطويلي :المصدر السابق ،ص43

ج- الإصلاح في التعليم:

بدأت طبقة المتعلمين في عصره الذين غالبُهم من خرّيجي جامع الزيتونة وهؤلاء اقتصرت دراستهم ومعلوماتهم على علوم الشريعة واللغة حسب الأساليب العتيقة مثل إخوانهم بالمشرق ولا صلة لهم بالثقافة الحديثة.وفي هذه المقدّمة يقدّم ماله صلة بالسياسة والنّظم الدولية والقوانين الدستورية .في حال أن العقلية السائدة لدى مشائخ الزيتونة أنداك ،هي أن الانشغال بالسياسة لا يليق بأمثالهم ، وهو موقف سلبي كان له أسوأ التأثير، مع الأسف[1] .

(1) رشاد الإمام: مرجع سابق ، ص418.

المبحث الثاني : خير الدين التونسي (1238–1308هـ) (1820–1890م) :

1– حياته :

مرت حياة خير الدين التونسي الملقب ب"أبو النهضة التونسية الأول" [1] بمرحلتين انحصرت المرحلة الأولى في نشأته وتعلمه وإعداده للحياة إعدادا مدنياً وعسكرياً، بينما تميزت الثانية بكفاحه السياسي والاجتماعي في تونس[2].

ولد خير الدين بقبيلة إباظة بمنطقة نهر الكوبان من بلاد الشركس[3] بالقوقاز سنة 1237 /1822 [4] وان والده توفي في إحدى الوقائع العثمانية ضد روسيا [5]. ويذكر عن أصله في مذكراته قائلا :رغم يقيني من إنني شراكسيّ الأصل ،فأنني لم أحتفظ بأي ذكرى دقيقة عن موطني ولا أهلي ،لقد وقع اختطافي إثر الحروب أو عند بعض الهجرات ،في سنّ مبكرة جدّاً،من عائلتي، التي افتقدت أثرها إلى الأبد.وقد باءت الأبحاث التي قمت بها منذ ذلك الوقت في عديد المناسبات للعثور عليها دائما بالفشل[6].

ويذكر أحمد أمين في كتابه وجد نفسه في الأستانة في أسرة غير أسرته في بيت تحسين بك ،نقيب الأشراف الذي باعه إلى رجال الباي لينتهي به المطاف إلى قصر باي تونس أحمد باشا[7].

وأخذ في إحدى الغارات أسيراً إلى استانبول وتولى تنشئته حسين بك بعد ان اشتراه من سوق الرقيق قدم

---

(1) – أحمد خالد :**أضوَاء من البيئَة التونسية على الطّاهر الحدّاد ونضال جيل** ،دار التونسية ،ط3، ، 1985 ،ص9

(2)– ينظر للملحق رقم 3 ص .

(3)– **الشراكسة** :قبائل بدوية سكنت البقعة الشمالية الغربية من بحر قزوين وجزءا من ساحل البحر الأسود وباحتلال روسيا لهم تفرق كثير منهم في تركيا واسيا الصغرى .ينظر محمد محفوظ :تراجم المؤلفين التونسيين،ج2 ،ص271

(4)–ناصر الدين سعيدوني :**من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي** ،دار الغرب الإسلامي ،ط1، 1999، ص550

(5) – محمد محفوظ :**تراجم المؤلفين التونسيين**،ج2 ،ص270

(6)–محمد العربي السنوسي ،**مذكرات خير الدين** ،تونس ،بيت الحكمة ،2008.ص19–20

(7)**المشير أحمد باي** :من مواليد سنة1784 م أول مصلح انتهج سياسة المناورة بين انكلترا وفرنسا حيث تعلّم القرآن الكريم وللّغتين التركية والإيطالية زار فرنسا في رحلته رسمية سنة 1846م والتي اعتني بتدوينها الشّيخ أحمد بن ابن الضياف ، كان أحمد باي من دعاة الإصلاح أسّس المدرسة الحربية توغي سنة 1855.ينظر : لوتسكي : **تاريخ الأقطار العربية الحديث** ،دار التقدم،1975ص222 ينظر للملحق : رقم05

إلى تونس[1] وهو شاب يافع لم يتجاوز السابع عشر من عمره عندما اشتراه من سيد حسين بك مبعوث المشير أحمد باي فتربى بقصر الباي بتونس (قصر باردو) حيث حفظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم ،ثم دخل المكتب الحربي فتعلم اللغة الفرنسية والعلوم العصرية كالرياضيات على يد خبراء فرنسيين وتخرج ضابطا متشبعاً بالثقافة العسكرية ومطلعاً على العقلية الأوربية ومؤمناً بالمبادئ والقيم الإسلامية[2] .

حرص أحمد باشا باي على تعليم خير الدين التونسي إذ تلقى تربية دينية وعصرية معاً [3]

وعن ذلك يقول في مذكراته : ترعرعت أوّلاً في القصر ، حيث درست العلوم الإسلامية باللغة العربية ،ثم التحقت بالجندية حيث أخذتُ معارفي العسكرية تحت إشراف هيئة من الضباط الفرنسيين قدموا لتنظيم وتدريب عساكر الباي .وقد ارتقيت سلم الرتب العسكرية رتبة إثر أخرى ، وعندما حصلت على رتبة العقيد التحقت بوظيفة معين للأمير احمد باشا باي وأعطا لي لقب أمير الأمراء وهي أعلى رتبة يستطيع إسنادها الباي ،حصلت بهذه الصفة على رئاسة فريق للفرسان" فريق خيالة [4] .

أما المرحلة الثانية فتبدأ بتدرجه في المناصب الرسمية وكفاحه السياسي والاجتماعي لتونس وسط ذلك الخراب المالي المتراكم ،والمظالم المتلاحقة على الشعب [5].

حاول المصلح التونسي أن يطبق آراءه الحديثة في تونس ، ولكنه اصطدم بعقبتين كبيرتين :

(1) أحمد أمين :**زعماء الإصلاح في العصر الحديث** ،دار الكتاب العربي بيروت لبنان،ص146

(2) ناصر الدين سعيدوني:نفس المصدر ،ص550

(3) البرت جوراني: **الفكر العربي في عصر النهضة 1798–1939** ،ترجمة إلى العربية كريم غرفول ،دار النهار للنشر ،بيروت لبنان ،ص109

(4) محمد العربي السنوسي :المرجع السابق,ص20–21

(5) أحمد بن أبي الضياف :مرجع سابق ،ج4،ص ص150–151

أولاهما استبداد الوزير الأكبر مصطفى خارندار[1] الذي حكم تونس مند أربعة وثلاثين عاماً ، كان فيها مثال الجور والإرهاب والابتزاز الأموال الشعب وذخائر الدولة.

وثانيتهما مشائخ الدين الذين كان لهم نفود مطلق على ذهنية الأمة مع عامل ثالث هو تخوف الشعب التونسي من الإصلاحات التي كانت تقتبس من الغرب ، ظناً منه أن كل شيء غربي يمس بكيان الأمة ووجودها ، وقد حاول خير الدين أن يستعمل كل الوسائل لكسر شوكة الخازندار[2].

حيث ارتقى خير الدين في سلم الخدمة العسكرية فتولى خطة قائد الخيالة في الجيش (بنباشي) 1840 ثم شغل رتبة قائد أول (آلاي أمين) ثم أسندت إليه قيادة لواء الخيالة(أمير آلاي)1852 .وقد ساهم في تجهيز العساكر التونسية للمشاركة في الحرب القرم وعين وزير للبحر ،وبجانب هذه المهام العسكرية شغل خير الدين وظائف إدارية وسياسية سامية[3].كما كان يترك أمور الدولة لمصطفى الخزنة دار حيث اضطر إلى تحويل الدين إلى سندات اسمية لتكون أكثر خضوعا للرقابة ومع ذلك عجزت الميزانية عن دفع فروق السندات فتألفت لجنة دولية في مارس 1870 للاشراف على مالية التونسية وقسمت عملها بين هيئتين : الهيئة التنفيذية للإشراف على نفقات الحكومة[4].

الذي كان رغم تقواه لا يتورع عن السرقة والنصب ومشاركة السارقين والناصبين واستمر مصطفى الخزنة دار مسيطراً على الوزارة في تونس ما يقرب من خمسة وثلاثين سنة أثقل فيها كاهل الأهالي بالمظالم

(1) **مصطفى خزندار**: يوناني الأصل ولد في إحدى جزر اليونان سنة 1817م بيع صغيراً في أسواق اسطنبول مع أخ له، ثّم بيعا مرّة ثانية إلى بايات تونس ، تربّى في قصور الأسرة الحسينية ، الحاكمة في تونس ، تعلّم الإسلام وعلوم الدّين صحبة أحمد باي وكان المسبّب للأزمة المالية التي أوقعت تونس تحت طائلة التّدخلات الاستعمارية ينظر الشّيباني بنبلغيت : **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي** (1882-1859) تقديم عبد الجليل التميمي ، منشورات ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلّية الأدب والعلوم الإنسانية جامعة صفاقس ، تونس ، 1995، ص69 . ينظر : للملحق 06 .

(2) علّال الفاسي : **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي** ، مؤسسة علّال الفاسي ،ط6,2003، ص43

(3) ناصر الدين سعيدوني: نفس المصدر،ص 550.

(4) صلاح العقّاد: **المغرب العربّي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر ،تونس ،المغرب الأقصى**،ط6، 1993، مكتبة الانجلو المصرية ،ص 170.

والضرائب واختلاس الأموال ،وكان مصطفى الخزنة دار يعتمد على محمود بن عياد في الشئون المالية وجمع الضرائب ، والمكاسب،وبلغت الأموال التي جمعها ما يقرب من ثمانين مليوناً ، أراد إخفاء فسادهم واختلاساتهم تحت غطاء التنفيذ لما يصدره ذلك المجلس ،فحاول خير الدين بكل الوسائل أنّ يرجع بهما إلى طريقة الاستقامة والصدق لخير الأمة والبلاد حيث أفاد خير الدين من احتكاكه برجال الساسة واحتكاكه برجال الإعمال وبدول أكثر تقدماً على السلم الحضاري من تونس ،وعاد إلى بلاده لكي يصبح وزيراً للحربية ،ويشغل هذا المنصب لمدة ست سنوات ،وقام في هذه الفترة بإصلاح ميناء حلق الوادي وإنشاء مصنع لبناء السفن ،وحاول تغيير نظام حكم بإنشاء مجلس الشورى القوانين[1].

حيث حاول خير الدين ،كما يقول ،ان يسير بالأمور في طريق العدالة والنزاهة والإخلاص،ولكن كل مسعاه ذهب سدى ،ولم يشأ أن يخدع وطنه الذي تبناه [2].

فلقد أحرز خير الدين في القيام بتلك المهّمة نجاحاً فوق ما كان منتظراً .حتى تحصل بفضل ما قدمه من حجج دامغة ،على تمكين الدولة التونسية من استرداد جزاء لا يستهان به من الأموال التي سُلبت منها ،وعند وفاة المشير أحمد باي 1855 عين محمد باي[3] وزيراً للبحرية[4] .

تغيّرت الحال بعض الشيء وإن في الظاهر وراح محمد باشا يظهر الفتور تجاه الحياة الغربيّة ويُظهر تعلّقاً شديداً بالسلطنة العثمانية ولين دارى رجال الفكر والعلم ميول حاكمهم[5].

---

(1) **مجلس شورى القوانيين** :من أهم المشروعات التي عمل فيها خير الدين باشا ،ولقد اصطدم هذا المشروع برجال الدين حاولوا الإصرار على المزج بين الدين والدولة ،وعدم اقتباس من الاقتباس من الغرب ،كما اصطدم بأصحاب النفود والسلطات ،وخاصة الباى ومصطفى الخزانة دار .ينظر جلال يحي ،**العالم العربي الحديث والمعاصر** ،ص249.

(2) جلال يحي :المرجع السابق ، ص ص 248-249.

(3) **محمد باشا** : ولد بتونس في سبتمبر 1811وارتقى إلى العرش سنة1855وتوفي سنة صادفته ولايته الاحتلال المالي وما نشأ عنه من مشاكل استعمارية، على عهده عرفت إصلاحات جمة منها إصداره لعهد الأمان عام 1857 الذي يعد أول دستور يصدر في تونس كان متعلقاً بسلطة العثمانية ينظر : محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف : المصدر السابق ،ص ص 180-181

(4) الصادق الزمرلي : **أعلام تونسيون**، ص99.

(5) حنَّا الفَاخوري: **تاريخ الأدب في المغرب العربّي** ،دار الجيل بيروت ،ط1 ، 1996، ص 474

كل تلك المجهودات لم تأت بأي نتيجة فقدم خير الدين استقالته من رئاسة المجلس ووزارة البحرية سنة 1862م وانزوى في حياته الشخصية طيلة سبع سنين متواصلة قضاها في الربوع الفرنسية واغتنم الوقت وتمتعه بالحرية الذاتية وألف كتابه السياسي الإداري الذي سماه"أقوم المسالك في المعرفة أحوال الممالك وفي هذا يقول "لقد مكنتني إقامتي الطويلة بفرنسا ،وهذه الأسفار الطويلة من دراسة أسس الحضارة الأوربية ومقاوماتها وكذلك مؤسسات الدول العظمى الأوروبية واغتنمت أوقات الفراغ التي توفرت لي من الحياة العزلة لتأليف كتابي السياسي تحت عنوان أقوم المسالك في المعرفة أحوال الممالك"[1].وسافر إلى الاستانة 1878 فخلع عليه رتبة مشير ، وانزله في قصر وعينه رئيسا للجنة الدولة المكلفة بإصلاح المالية ثم ضم إليه وزارة العدل ، وأخيرا تولى منصب الصدر الأعظم كأعلى منصب في السلطة العثمانية ولما أحس بتغير السلطان تجاهه استقال من هذا المنصب ، وسمي عضوا في مجلس الشورى ، وفي مجلس الأعيان ، ودعى إلى مجلس وزارية أخرى ، وبقي يحصل على مرتبه التونسي والعثماني كاملا إلى وفاته[2].

بعد أن قطع شوطاً بعيداً في طريق الإصلاح انتهت بوفاته 1889 م بالاستنانة ودفن في جامع أيوب [3]

2- فكره:

بعد سنة 1864دخل خير الدين في عزلة تفكير واعتبار ،تفرّغ فيها لضبط معلوماته عن الحضارة الغربية وتدقيق ملاحظاته ومقارناته ،و"استخلاص النتائج الاعتبارية والقضايا الحكمية من تلك المقارنات ..."وتمخّضت تلك العزلة عن إصداره أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك وذلك سنة 1867.لقد أعان عدد من المصلحين والعلماء التونسيين خير الدين في تحرير كتابه المذكور ومراجعته ويشير ابن عاشور إلى ذلك بقوله"وأقبل خير الدين على رجال عصابته من أهل العلم وأهل السياسة الذين كانوا يتردّدون على قصره في شيء من الاختفاء ،واندفعوا جميعاً يدرسون تلك النظريات ويحرّرها غير منفكين

(1) محمد العربي السنوسي : مرجع سابق ، ص24-26

(2) أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة : **معجم مشاهير المغاربية** ، منشورات دحلب ، الجزائر ، ص174

(3) أحمد أمين : مرجع السابق ، ص183

عن الالتفات إلى العراقيل التي قضت بإحباط سعيهم ،وولّدت عن حركتهم عكس المقصود منها . حتى تمخّضت تلك الدراسات والمداولات عن الكتب العظيمة الذي ألفها خير الدين [1] يبدو تأثره بأنصار التنظيمات الخيرية من الأتراك وبالشبان الأتراك وبآراء رفاعة الطهطاوي كما يبدو وتأثره بالمفكرين الغربيين كتيار ومونتسكيو وستيوارت ميل وغيرهم هو متأثر بالخصوص بتفكير عصر النور وهو متأثر أيضاً بالنظريات الخلدونية كالعمران والعصبية [2] . فالرجل الذي بدأ حياته مملوكاً في أحد بيوت الأشراف في الأستانة ضحك له القدر فانتقل به إلى كنف الباي أحمد التونسي تداول عدة مناصب من وزير إلى رئيس للوزراء إلى صدر أعظم وكان في سائر هذه المناصب التي تبوأها المقاتل الشرس وفي محاربة الفساد في تحديث البني والمؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأيضا في التمهيد لذلك اللقاء الحضاري بين مدينة الغرب ومدينة الإسلام وقد كان خير الدين يصدره في ذلك كله عن نظرة متطورة إلى الواقع الذي كانت ترزخ تحته المجتمعات العربية الإسلامية عامة والمجتمعات التونسي بوجه خاص[3]. يعتبر قائداً فكرياً عضيماً دافع عن تونس والإسلام وحضارته ومجده ، وانتبه إلى أنّه بدون عدالة وحرية لا يمكن أن يعمّ الازدهار المجتمع وأن تنتشر العلوم وتنهض البلاد ، وانتبه أيضا إلى أنهب دون تعاضد الجميع ، علماء ورجال سياسة وشعباً، لا يمكن أن يكون تقدّم ولا إصلاح [4].

3- كتبه:

اعتمد خير الدين كتباً كثيرة في كتابة مؤلّفه ،منها أمهات الكتب والأجنبية ،المعروفة في أيّامه والتي تيسّر له الإطلاع عليها بالإضافة إلى مناقشاته مع علماء وسياسيين أوروبيين حيث ظهر الكتاب بالأفكار الإصلاحية التي وردت فيه ،كأصدق معبّر عن التفكير الإصلاحي بتونس آنذاك ،وكأشدّ ما

(1) رشاد الإمام :**التفكير الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور قانون "عهد الأمان** ". دار سحنون للنشر والتوزيع تونس ،ط1، 2010، ص 426-427.

(2) محمد محفوظ :مرجع سابق، ص278.

(3) سمير أبو حمدان :**خير الدين التونسي أبو النهضة التونسية** ، بيروت ،دار الكتاب ، العالمي 1993،ص05 .

(4) أحمد الطويلي : **دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس** ، لمؤسسة سعيدان سوسة تونس ، 1992،ص24 .

تحتاج إليه البلاد في تلك الظروف السيّئة التي صدر فيها [1].جمع خير الدين التونسي كل هذه المحطات التي شهدها في كتاب "أقوم المسالك "الذي وضعه بين فترة استقالته من وزارة الحربية عام 1862 ورجوعه للحكم كرئيساً للوزراء 1873 مذلك الكتاب الذي احتوى زبدة آرائه في الإصلاح ،وخلاصة إنطباعاته ومعلوماته عن الدول الأوربية التي زارها ،طبع الكتاب بالطبعة الرسمية بتونس سنة 1284 هـ/ 1867م،وترجمت المقدمة بإشرافه إلى فرنسا سنة 1868 وطبع في مطبعة دبيون سانت هينزي بباريس وترجمه إلى تركية إسماعيل حقي سنة 1878وصدرت طبعتة العربية المقدمة في استانبول سنة 1876كما ترجم إلى الانجليزية سنة 1874م [2].

حيث قسّمه إلى كتابين تكلّم في كتابه الأول عن ممالك أوروبا على عهده وجعلها أبواباً بعدد تلك الدول بما فيه الدولة العثمانية ،ورتب كل باب على عدّة فصول بسط القول في كل فصل على تاريخ ذلك البلد ومختلف نُظمه السياسية والإدارية مع إلمام بما لديه من قوة عسكرية سرية وبحرية .

أما الكتاب الثاني فقد خصصه لكلام على الكرة الأرضية وقسمه أبواباً على عدة القارات وتعتبر مقدمته لبّ الكتاب[3].

دشن خير الدين مؤلفه ب"خطبة " يخبرنا فيه بان كتابه يتضمن زبدة معارفه وخلاصة نظرته حول نشوء الممالك وزوالها وحول أسباب رقيها وانحطاطها ويذكر ان كتابه هذا جاء نتيجة تأمل طويل حيث يقول " إني بعد تأملا طويلا في أسباب تقدم الأمم وتأخرها جيلا فجيلا مستنداً في ذلك لما أمكن تصفحه من التواريخ الإسلامية والإفرنجية مع ماحرره المؤلفون من الفريقين فيما كانت عليه وآلت إليه الأمة الإسلامية وما سيؤول إليه أمرها في المستقبل[4].

(1) رشاد الإمام: مرجع سابق ، ص427.

(2) محمد محفوظ: مرجع سابق ، ص278

(3) حسن حسني : **كتابُ العمّر في المصنفات والمؤلفين التونسيين** ،مج2،ج4، دار الغرب الإسلامي ، ط1، 2005، ص578

(4) خير الدين التونسي : **أقوم المسالك في المعرفة أحوال الممالك** ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،1985، ص2

كما تعدى صدى فكر خير الدين حدود البلاد التونسية إذ يتحدث عنه الشيخ عبد القادر المجاوي في رسالته المسماة(إرشاد المتعلمين) المطبوعة في مصر سنة1877 مطولا عن خير الدين وكتابه وبحسب الدكتور المرحوم أبو القاسم سعد الله فإن المجاوي قد شكك في قدرته على تحقيق الإصلاح المنسوب إليه فقال عنه أنه "أحد المماليك الناشئين بتونس ..."وقال عن الإصلاح وتوليه الوزارة: لقد ظن الناس ان بتوليته تنتفع البلاد والعباد وأكد شكه في نسبة الكتاب له بقوله "الناس ولم يقل المجاوي رأيه صراحة في أن أقوم المسالك من تأليف خير الدين أو من تأليف غيره ،بل ترك موضوع الشك مفتوحاً .من جهة أخرى يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله رأى الشيخ العالم إبراهيم سراج المدني وغيرها من العلماء من أيدوا مشروع خير الدين التونسي ويتضح إعجاب الشيخ سراج بشخص خير الدين من خلال مدحه في العديد من قصائد نذكر منها بيتين :

فيا ليلة قد أوْهن السيرُ عزمها ظلامك قد أغْفى ونجمك ساهر

كأن له مثلي اشتياق مبرح تتوق لخير الدين من المناظر[1].

كما عبر **حسن بن بريهمات** وهو من أعيان علماء الجزائر بكتاب أقوم المسالك وذلك من خلال أبيات شعر بعث بها إلى خير الدين سنة 1867معبر عن إعجابه بمنهجه الإصلاحي في السياسة والانتصار للدين والوطن قائلا:

لله درك خير الدين من علم أبدي منار الهدى للناس في القُننِ

نهجت نهجاً قويماً قلّ سالكه إلى السياسة كي ينجو من الفتن [2].

كما أعجب **الأمير عبد القادر** بكتاب خير الدين و أرسل له رسالة على نسخة من كتابه ومعها

(1) أبو القاسم سعد الله :**أبحاث أراء في تاريخ الجزائر** ، ج4،ط1، بيروت ،دار الغرب الإسلامي ، 1996،ص ص164-165

(2) أبو القاسم سعد الله :**أبحاث أراء في تاريخ الجزائر** ، ج4، ص 164-165

خطاب خاص التي أهداها إليه من كتاب معتبراً إياه من المدافعين عن الشريعة الإسلامية قائلا" ثم إنك حميت ضمار الشرع المحمدي وعضدته ،وقطعت عنه ضرر الملحدين ،وذلك بما قررتموه من أن الشريعة المطهرة لائقة بكل زمان ، صالحة للحكم بها في كل أوان[1].

4- الحركة الإصلاحية في عهده:

أسباب قيام بالإصلاحات في عهد أحمد باي كانت مصدرها مزدوج فهي من ناحية تقليد لما أنجزه محمد علي بمصر[2] ومحمود الثاني بتركيا[3]، ومن ناحية أخرى ردّ فعل عن لأخطار التي أخدت تحدّق بالبلاد التونسية وتجارب مع الوضع الجديد الذي أحدثته قفزة أروبا إلى الأمام. وقد تناولت هذه الإصلاحات مختلف الميادين فأول ما بادرت به الدولة التونسية مند 1832وهو تنظيم جيش عصري وقد أولى أحمد باي مند توليه الحكم سنة 1837اهتماما فائقا بالمسالة العسكرية وكذلك ضرورة إصلاح الوضع الإداري والجبائي مثل مصنع البارود والمدافع ومصنع الأحذية وكذلك تحويل نظام التعليم الموجود (إصلاح أوضاع جامع الزيتونة).

---

(1) المرجع نفسه :ص168

(2) **محمد علي**: 185-1848 هو أبن محمد علي إبراهيم أغا يعتبر مؤسس مصر الحديثة وبغض النظر عن مضالمه وجرائمه وإخفاقاته كان سبب نهضتها ودخولها العصر الحديث قال عنه المؤرخ عبد الرحمان الجبرتى : الرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة لكان أعجوبة زمانه وفريد أوانه .ينظر : إلياس الأيوبي: محمد علي سيرته وأعماله وآثاره ، كلمات عربية للترجمة والنشر ،مصر العربية ،2011،ص 11 . ينظر : للمحق15.

(3)**محمود الثاني** : أمتدت فترة حكمه من 1808م -1839م بحيث كان معجباً بالأنظمة العسكرية الحديثة فقرر إلغاء الإنكشارية وبدأ بتنظيم جديد على الطريقة الأوروبية وأتسم عصره بالفضائع الاجتماعية كالرشوة في مؤسسات الدولة غضافة إلى التمردات التي عرفت بالمورة. ينظر:فايزة علوش : **مصطفى كمال أتاتورك وموقفه من خلافة العثمانية 1881م-1938** ، مذكرة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2014-2015، ص 07

وفي إدخال تعليم عصري إلى البلاد فأسس مدرسة حربية وعصرية بباردو[1]. ترمي إلى تكوين إطارات كفأه، وكذلك شرع في بناء قصره الشهير بالمحمدية الذي قلدّ في جانب منه قصر فرساي الفرنسي وإنشاء جيش نظامي في سنة1835[2] .

أما في خصوص تعصير المجتمع فأخطر مبادرة وأشهرها في هذا تحجير الرق بالبلاد التونسية سنة 1846 هدفها سدّ باب الذريعة (المتمثلة في احتماء العبيد) بالقناصل الأوربيين هذه أهم الإصلاحات التي قررها أحمد باي[3] وفي هذا السيَاق يقول أحمد ابن أبي الضياف :

لا يخرج التلميذ عالما بما يلزمه ضرورة في غير العلوم العسكرية متظلعا باللغة الفرنساوية وبما يلزم من العلوم العقلية وفي هذا الإطار انتدب أحمد باي بهذا المعهد مدرّسين تونسيين للتدريس أبرزهم الشيخ محمود قابدو[4].

وأساتذة أوروبيين من ايطاليا وفرنسا أدخلوا إلى برامج التعليم العلوم العقلية واللغات الأجنبية ومناهج جديدة تعتمد على العقل والنقد غير أنّ جلّ الإصلاحات التي قام بها أحمد باي باءت بالفشل فلم يكن بوسع الميزانية التونسية تحمّل أعبائها ومصاريفها.

ويعود فشل هذه الإصلاحات إلى ضعف إمكانيات الدولة التي انتهجت سياسة الإسراف والتبدير

---

(1) **المدرسة الحربية بباردو**:حيث تم تأسيسها سنة1840بمثابة ثورة في قطاع التعليم على مستويي المضمون والشكل ولهذا كانت هذه المدرسة أول نواة للتعليم العصري إذ أدرجت في برامجها إلى جانب العلوم وللغة العربية والتاريخ والجغرافيا بعض العلوم العقلية كالحساب والهندسة وللغات كالايطالية والفرنسية لتدريس المواد التقنية كان المعهد باردو بالنسبة إلى الطلبة التونسيين بمثابة النافذة على العلوم والمناهج والأفكار الأوروبية .ينظر :حبيب حسن اللولب ،**أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر** ،المرجع السابق ص 35

(2) Sophie Errais :**Institutions Peformes militaires En Tunisie Au xixe Siecle** ،Institut des Etudes is Lamiques université mcgill montreal Québec،Aout 1992، P91

(3)**الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع** ،سلسلة نداوات ومناظرات رقم7 ، أيام دراسة1983: **عشر، مملكة** المغربية جامعة محمد الخامس ،بالرباط، ص138

(4)**محمود قابدو** :(1815-1871) مصلح ومجدَد ومدرس في مدرسة باردو العسكرية ،عين قاضيا ومفتيا وهو ذلك الرجل العبقريَ والنترفعَ الذي فقدته تونس قبيل اللوان ولكن اسمه سيبقى مرتبطاً بنهضتها الفكرية والاجتماعية بروابط لا تنفصم عراها ينظر :الصادق الزمَرلي ،المرجع السابق ،ص70.ينظر : للملحق :07.

المتمثلة في تشيد القصور وما يلفت الانتباه أنّ النّفس الإصلاحي بقي قائما لدى ثلّة من المثقفين وخصوصا المتخرجين من مدرسة باردو لمواصلة الإصلاح [1].

حيث توفي الباي أحمد باشا سنة 1855عن عمر يناهز 71عاماً فخلفه ابن عمه وولي عهده ،المشير محمد باشا حيث فتح الباي محمد الباب أمام تكالب الاستعمار الفرنسي والانجليزي بمنح الامتيازات للشركات الأجنبية ورؤوس الأموال الأجنبية[2].

أ–الإصلاحات السياسية:

يعد خير الدين باشا حالة استثنائية في تاريخ الحركة الإصلاحية والنهضوية العربية الإسلامية فقد حاول في وجه المطامع الأجنبية [3].حيث انطلق خير الدين في عمله الإصلاحي من مسلمات أهمها: أن الشريعة الإسلامية ليست معارضة للأخذ بأسباب الرقي لدى الأمم الأخرى بحث أنها كافلة لمصالح الدّارين و الأخذ بأسباب الرقي لدى أمم أوربا يتطلب حسن الاختيار حسب مقتضيات الظروف الخاصة بكل بلد ويرجع فشل الإصلاح إلى إهمال هذه البديهية.

–وأنّ التقدم الأوربي شيء عارض حصلوا عليه بالتنظيم الدنيوي :"إن الحالة الراهنة في ممالك أوربا لم تكن ثابتة لها من قديم الزمان.

– وأنّ إنجاح الإصلاح وإمكانية الأخذ به إقناع الحكام بضرورته وتنبيه العوام لانفراده ويبدو أنّ هذا مدفعه إلى وضع كتابه أقوم المسالك إلى أحسن حال الأمة الإسلامية.

–الإيمان بوحدة مصير المسلمين والتسليم بالحقوق التاريخية للدولة العثمانية على تونس وقد أوضح ذلك في قوله "لقد كنت مؤمناً راسخ الإيمان أن المملكة التونسية الروابط التي تربطها بالخلافة العثمانية أمنع حصن يصونها من أطماع الدول الأوربية المختلفة بهذه القناعات حاول خير الدين أن يقنع حكام تونس

(1)حبيب حسن اللولب : **أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر** ،ط1، 2013 ص ص32 -33.

(2) الطاهر عبد الله :**الحركة الوطنية التونسية** ،المرجع السابق ،ص22.

(3) المرجع نفسه :ص 23.

بضرورة الإصلاح الإداري والمالي والتشريعي على النمط الأوربي[1] .

كما ربط خير الدين بين عنصري الصلاح والوطنية فيما يتعلق بمنظومة العلاقات الدولية الخاصة بالدولة التونسية حيث سعى إلى تقوية العلاقة بين الإيالة والباب العالي في محاولة لإبعاد تونس عن دائرة الإطماع الفرنسية والبريطانية والايطالية وهو ما تضمنته مذكراته حيث يقول :

ان العلاقات مع تركيا ،فإنها لم تنفكّ أن كانت من أشدّ اهتماماتي،لأنّ موقف الإيالة من السلطنة العثمانية لم يكن رسميّاً واضحاً،وكنت دائم اليقين بأن تحقيق الإيالة التونسية بالسلطنة العثمانية هو شاطئ السلامة ضد مطامع مختلف القوى الأوربية كما حاول أن يحقق توازنا في مثلث العلاقات بين الدول الأوروبية المذكورة حتى لا تنفرد إحداها بالنفوذ ثم السيطرة على البلاد معتبر فرنسا هي مصدر الخطر الأول للحكومة [2].

لقد كان واعياً لحالة بلاده بالنّسبة إلى أوروبا التي زارها ودرس تاريخها واتّصل ببعض رجالها السياسيين فأحب أنّ يقدّم هذه الملاحظات بعد التّفكير العميق في تأخّر الأمّة الإسلامية وتقدم الغرب .ففكّر في ماضي البلاد الإسلامية بعد أن اطّلع على حضارتها السّابقة ورأى أنّه لا يمكن تقديم برنامج عمل إصلاحي بدون دراسة أحوال البلاد المتقدّمة وبدون التّفتح على هذه الأمم[3].

حيث قام خير الدين بمجموعة من الإصلاحات مما كسبه حب الشعب وتقديره وخاصة الطبقات الشعبية إذ أصبح ينظر لخير الدين التونسي والحركة الإصلاحية من طرف الباي الجديد محمد باشا غير نظرة المرغوب فيها نتيجة الدسائس القناصل الاستعمارية الذين بدؤوا الحرب ضد الحركة الإصلاحية وانتهت المعركة بانتصار جزئي ومؤقت للحركة الإصلاحية سنة 1857حيث اعترف فيه الباي بمنح الدستور للبلاد.

(1) ناصر الدين سعيدوني :المرجع السابق ، ص ص553-554.

(2) محمد العربي السنوسي :المرجع السابق,ص 43.

(3) أحمد الطويلي :المصدر السابق ،ص 16

وسمي هذا الدستور بعنوان عهد الأمان "[1] لإعادة إرساء النضام الدستوري [2] فكان ذلك انتصاراً باهراً للحركة الإصلاحية بعد نضال دام عشرين سنة[3].

وجاء هذا العهد بناءّ على ضغط الدول الأوربية وذلك للحفاظ على مكاسب لها ، وكانت فائدته العملية في الغالب لصالح الجاليات الأوروبية في تونس وبعد وفاة الباي محمد خلفه أخوه الباي محمد الصادق1859/1882الذي حاول تحقيق بعض الإصلاحات في البلاد ،فصدرت في عهده وثيقة دستورية سنة 1861عُرفت باسم دستور 1861ونصت المواد الثلاثة الأولى على الحريات الشخصية ، والمساواة أمام القانون والإدارة والضرائب دون تمييز بين الأجناس والأديان[4] .

ب–**الإصلاحات الاقتصادية:**

وكان عهد خير الدين باشا عهد إصلاح فكل نواحي القطر ، وجميع القطاعات السياسية والاقتصادية والمالية والإدارية والقضائية،وحتى في الزراعة وكما نشطت حركة الإصلاحات فأعيد تنظيم القضاء والإدارة والمجلس البلدي ومد السكك الحديدية التي تصل تونس بالجزائر[5].

وتمكن خير الدين من وقف القناصل عند حدهم وقلل العبء على الفلاح ، وألمت كثيرا من الضرائب ونظم

---

(1) **عهد الأمان** : 1857/9/10الذي يعتبر إعلاناً لحقوق الإنسان وللمبادئ الديمقراطية من حرية ومساواة بين الأفراد والحرية الشخصية وحرية المعتقد عدالة الضرائب'وفي هذا الدستور محاولة للتوفيق بين الاتجاه الإسلامي متمثلاً في الشريعة الإسلامية وبين القوانين العصرية في البلاد الأوربية والذي كان مقدمة للدستور الصادر السنة 1860 ،ينظر الطاهر عبد الله ،الحركة الوطنية التونسية ،ط2،دار المعارف ،ص23 وينظر أحمد إسماعيل راشد :**تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر** ،دار النهضة العربية ،ط1، 2004،ص93 . ينظر : الملحق رقم 09: تمثلت الوثائق المعروضة في وثيقة عهد الأمان لسنة 1857 ودستور1861 ولائحة الموتمر الحزبي التي انطلقت منها القطيعة مع السلطة الاستعمارية عقب تراجعها عن وعود الإصلاح وكانت شرارة اندلاع أحداث 9 أفريل إلى جانب جدول إحصائي لمظاهرات 8 أفريل والأمر المتعلق بحل الحزب الدستوري الجديد ينظر للملحق: رقم 08 .

(2)Mongi Smida :Khereddins Ministre Reformateur، Malson Tunislenne De L'Edrtion ، p385

(3) الطاهر عبد الله :المرجع السابق ،ص23.

(4) أحمد إسماعيل راشد : المرجع السابق ،ص93.

(5) إسماعيل احمد ياغي :**العالم العربي في التاريخ الحديث** ،مكتبة العبيكان ،ط1، 1997، ص.141

الوظائف الحكومية،وحدد مرتبات القصر ،ونظم السجلات ودور المحفوظات وعمل على إحياء الصناعات الأصلية ،[1]. فنظم الجمرك ورفع ضريبة الاستيراد 5 %وخفض ضريبة الإصدار وانشأ المخابر الجمركية لمنع التهريب[2] وفي الشأن : أقمت سلسلة من لإجراءات الجبائية البحتة ، إضافة إلى ذلك بإدخال تحسين في كلّ الفروع الإدارية وفي القضاء .تشجيعا للصناعة والفلاحة . وأقمت سلسلة من مراكز الديوان على الحدود الجزائرية ،لزجر حركة التهريب المعمول بها هناك على أوسع نطاق بما فيه الكفاية ،ونظمت قسما خاصاً بالموانئ والأرصفة .وأصدرت قوانين تنظم إدارة الأملاك الأحباس .التي كانت في وضعية يرثى لها .وساهمت كلّ هذه الإصلاحات في تحسين واضح للوضع المالي للدولة إلى درجة أن ،المداخيل أصبحت كافية لتغطية المصاريف ،فتحقق التوازن في الميزانية على أسس صحيح [3].

ج- الإصلاحات الإدارية :

أسس خير الذين المحاكم المدنية وإصلاح نظام المحاكم الشرعية وضبط جميع أمور الدولة في ترتيب سجلات رسمية منظمة كما أسس جمعية الأوقاف التي عرفت فوضي في البيع والشراء وطرق الريع فجمعها في إدارة واحدة عليها وجعل عليها السيد محمد بيرم ومجلس يعينه في تنظيمها ولم تغفل عن الخزانة العامة تحفظ أوراق الدولة ووثائقها كما أصلح نظام السجون بعدما لاحظ ان الناحية التشريعية والقضائية في البلاد مضطربة والأجانب لا يخضعون لقانون البلاد ،فكان لكل المذهب الحنفي والمالكي قاضي مطلق الحكم في الحوادث وجراء هذا الوضع عهد إلى مختصين لدراسة القوانين المعمول بها في الدولة العثمانية وفي مصر وفي أوربا [4] كما نص على إنشاء مجلس استشاري للشؤون الإدارية يشترك فيه التونسيون والجالية الأجنبية[5].

(1)جلال يحي :المرجع السابق ،ص251.

(2) أحمد أمين :المرجع السابق ، ص 169.

(3) محمد العربي السنوسي :المرجع السابق,ص 39-41.

(4) أحمد أمين :المرجع السابق ،ص170

(5) أحمد إسماعيل راشد : المرجع السابق ،ص93.

د- إصلاحات الاجتماعية:

أكدّ خير الدين في مقدمته إضافة إلى ما سبق على إصلاح المعارف بتونس ، واعتبره واجباً يتحتّم القيام بها للحاق بالدول المتمدّنة . معتبراً أنّ ذلك هو السبيل الوحيد للتقدم المتولد عن المعرفة ما نحتاجه من أنظمة ، ولمعرفة أحوال الدول الأوروبية الزاهرة والسير على منوالها ولزيادة التأكيد والإيضاح فيما يتعلق بأهمية نشر تعليم الحديث أورد خير الدين ذكر جميع المدارس والمعاهد الحديثة في اسطنبول[1] . حيث اعتني خير الدين بالتعليم فأنشأ المدرسة الصادقية[2] على نمط المعاهد الأوربية ،بها 150تلميذا تنفق عليهم الحكومة ويتلقون بها تعليما متينا ،إضافة إلى اللغة العربية والعلوم الشرعية ،على دراسة مختلف العلوم العصرية واللغات التركية والفرنسية والايطالية .وتمّ تنظيم التعليم في الجامع الأعظم "جامع الزيتونة "[3] وسنّ مناهج التعليم فيها وبرامجها كان تعليمها عربي ديني [4]. ونجد الشيخ ابن باديس يعترف في مناسبات عديدة بجميل تونس في تكوينه ، حيث كتب مقالاً بعنوان " في تونس العزيزة "[5] ، جاء في بعضه " حقًّا إنّ لتونس

(1) رشاد الإمام : المرجع السابق ،ص437

(2) **المدرسة الصادقية** : فتحت أبوابها في وجه الدارسين عام 1875لتعليم اللغات التركية والفرنسية والايطالية العلوم الحديثة فضلاً عن اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي ، ومما تضّمنه برنامج التعليم بالمدرسة :ففي العربية حفظ القرآن الكريم والقراءات والحديث ،وعلوم الدين بعهدة مدرسين أمثال الشيخ محمد القرطبي ، محمد بيرم ،الأمين بن الخوجة ينظر : ينظر محمد بن الخوجة :**صفحات من تاريخ تونس تقديم** وتحقيق حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ،ط1، 1986 ، ص311 .ينظر الملحق : رقم 09

(3) **جامع الزيتونة** : هو أعزّ و أفخر مؤسسة إسلامية تونسية عمت سمعتها في المشرق والمغرب لذلك أحدث العرب الفاتحون أوّل مسجد للصلاة بتونس وسمّوه جامع الزيتونة .ينظر محمد بن الخوجة : المرجع السابق، ص 282

حيث جعله"حسان بن نعمان مسجداً جامعاً بعد فتح تونس وكان الأول ديراً للرهبان تخلّوا عنه ،ثم وسّع في بنائه عبد الله بن الحبحاب وضم إليه زيادة الله بن الأغلب زيادات كثيرة حتى تكاملت ضخامته في أيام ملوك بن حفص ومما لا جدال فيه أنّ هذا الجامع وجامع القيروان هما من حمله الآثار الأموية الشاهدة على عظم شأنهم ينظر: عبد العزيز الثّعالبي : **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة الأغلبية** ، جمع وتحقيق :أحمد بن ميلاد ومحمّد إدريس وتقديم مراجعة حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ،ط2، 1987، ص 70 . ينظر للمحق : رقم 10

(4) محمد العربي السنوسي :المرجع السابق,ص 42

(5) الشهاب . ج5، مج 13 . الجزائر : جويلية 1937م ص252

لتونس هوى روحياً بقلبي لا يضارعه إلاّ هوى تلمسان ، أعرف ذلك من انشراح في الصدر ، ونشاط في الفكر ، وغبطة في القلب لا أجد مثلها إلا في ربوعها ..."

وهذا الشيخ السعيد الزاهري يُجسد صورة من وفاء جيل ..مظهرًا شتى عواطف الولاء والتقدير لما قدمته الزيتونة من خدمات قائلً " .. أنا مدين لكلية جامع الزيتونة فقد تخرجت فيها ، وأحرزتُ على شهادتها ، وما تراه في الجزائر من الحركة العلم والأدب ... هذه أيضًا مدينة لجامع الزيتونة "[1]. وهو الموقف نفسه الذي تبناه عبد اللطيف بن علي القنطري " إنّ الكلية الزيتونية لها الفضل الكبير على أبناء الشمال الإفريقي عموماً أيا كانوا وذلك لأننا نرى في كل سنة ما تنتجه من خيار الشبيبة المتنورة أفكارهم[2].

حيث كذلك تم تأسيس جمعية خلدونية[3] لسّد للثغرة المنجزة عن فقدان العلوم العصرية في تعليم جامع الزيتونة ونسبوا الخلدونية إلى ابن خلدون العلامة التونسي لأنهم أرادوها مؤسسة لنشر مبادئه ولتحقيق ما امتنع تحقيقه[4] . أما الصحافة والنشر التي هي من أقوى تلك هي من أقوى تلك النواحي أثراً في تطوّر الحياة الفكرية ،فقد كانت نهضة خير الدين بها قويّة وحازمة فالمطبعة التونسية كانت ، عند تولّي خير الدين الوزارة الكبرى قد مضى تأسيسها خمسة عشر عاما ،في حين كانت الجريدة الرائد التونسي في سنتها الرابعة عشر لكن صدورها غير منتظم فاهتّم بهما خير الدين وبعث فيهما الحياة من جديد وبفضل تلك الإصلاحات أصبح صدور جريدة الرائد مند سنة 1874 أسبوعيا ومنتظما [5] .

(1) الشهاب ، ج5، مج 13، الجزائر : ديسمبر 1933م ص224

(2) الشهاب، عدد 89، الجزائر : 27أكتوبر1927م

(3) **الخلدونية** :تم تأسيسها بمجموعة من التونسيين على رأسهم البشير الصّفر الهدف منها إدخال الإصلاح على جامعة الزيتونية ضمّت مكتبتها المئات من المؤلفات بلغ عدد رّوادها خمسة آلاف مطالع تأسست سنة 1896وكان أوّل رئيس لها الأمير محّمد القروي ينظر : أحمد خالد،المرجع السابق ،ص15

(4) أحمد خالد :المرجع السابق ،ص14

(5) رشاد الإمام : المرجع السابق ،ص466

المبحث الثالث :محمد بيرم الخامس (1840/1889) :

1- حياته:

لقد وُلد محمد بيرم الخامس بمدينة تونس في أوائل محرم 1256 هـ مارس 1840م وأمّة هي ابنه الجنرال محمود خوجة وزير الحرب في عهد الأمير أحمد باي الأول وحفيدة الشيخ الغمّاد المنحدر من بيت شريف والمنتسب إلى عائلة محترمة وذات نفوذ ،أما أمّ جدّه محمد بيرم الأول فهي السيدة الشريفة الحسنية ابنه أحد السادة الأشراف القادمين إلى تونس[1].

ولقد التحق في سنّ مبكرة بجامع الزيتونة المعمور وتابع دروسه وكان إلى جانب ذلك مولعاً بشؤون السياسة وعند بلوغه من العمر سبع عشره سنة وتبعاً لذلك فقد أقبل بحماس على مطالعة جميع المصنفات التي من شأنها ان تفيده بالمعلومات اللازمة حول المسائل ذلك الصبغة الإدارية والاجتماعية الكفيلة بتعريفه بأحوال البلاد والعباد[2].

2-كتبه :

صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار :يتألف الكتاب من خمسة أجزاء رمى المؤلف من وراء نشرها على غرار كتاب خير الدين باشا للتعريف بدول معظم أقطار العالم والتعريف بقوانينها ونظمها مؤسساتها دولة وكذلك الجزء الثاني يبحث في سياسة الحسينيين الداخلة في البلاد التونسية وعن أوضاعها السياسية والاجتماعية من أنظمة سياسية والمعارف و الإدارية [3].

الجزء الثالث يركز المؤلف فيه على إيطالية ووصف مدنها والتّعريف بتاريخها في مختلف العهود. الجزاء الرابع تحدّث فيه المؤلف عن الجزائر تحت الحكم الفرنسي والتّعريف بتاريخها .الجزء الخامس : تناول فيه أيضا تاريخ الحجاز وسياسته الداخلية والخارجية.

---

(1)ينظر للمحق رقم 11 .

(2) الصادق الزمرلي :المرجع السابق ، ، ص87

(3) رشاد الإمام: مرجع سابق ، ص441

حيث كان الغرض من تأليفه للكتاب هو بثّ التفكير الإصلاحي على أوسع نطاق ممكن من أجل تمكين المسلمين بصفة عامّة والتونسيين بصفة خاصة من استثمار تجارب البلدان الأخرى [1].

3- الحركة الإصلاحية في عهده:

أ- الإصلاحات السياسية:

ومنذ سنة 1864 تمّتنتْ عرى الصداقة والإخاء بينه وبين خير الدين فأصبح يزوره في بيته في أغلب الأيام على الرغم من الرقابة المضروبة لمعرفة من يزوره .وقد كانت زيارات بيرم لخير الدين ترمي إلى الاعتبار بالأحداث الجارية إرجاع الحريّات إلى البلاد وتعميم الشورى في المملكة . وهذان المبدآن كانا يعتبران من قبل رجال الإصلاح في تلك الفترة "القوّتان الوحيدتان لحفظ استقلال البلاد من التلاشي..." وفي تلك الفترة الزمنية وسبب المحن التي حلّت بالرعيّة بالإضافة إلى علاقاته التي توطدت مع خير الدين ازداد محمد بيرم تحمسا للإصلاح وارتباطا بالمصلحين إلى حّد تجاوز كلّ نشاطاتها [2] .

ب – الإصلاحات الاقتصادية :

حيث ترك والده ثروة عقارية عظيمة ولكّنه وجد صعوبات جمّة لاستغلالها لاسيما بعد الانتفاضة الريفية التي حصلت سنة 1864،بسب غضب الأهالي الثائرين على ارتفاع الضريبة الشخصية حيث تم توقيف العمل بقانون عهد الأمان فتأثر محمّد بيرم تأثراً لذلك فكّر في التحوّل إلى أوروبا بيع جميع أملاكه وللالتحاق بالجنرال خير الدين ،رئيس المجلس الأكبر النحلّ وزعيم الحركة التحررية التونسية بلا منازع حيث أصبح وزيراً أكبر وجّه اهتمامه أولا وبالذات لإصلاح إدارة المملكة وقد أصبحت تعمل بحقّ في سبيل مصلحة البلاد حيث كانت الأوقاف تكتسي صبغة متنافرة وتسير بحسب الثروات والأهواء فقد قرّر خير الدين جمعها في إدارة واحدة ورغم امتناع محمد بيرم عن قبول تلك المهمة فقد عهد إليه الوزير بالإشراف على إدارة الأوقاف 1874م فضّم إليه ثلاثة مساعدين أحدهم من موظفي الدولة والاثنان

(1)-رشاد الإمام: مرجع سابق ، ص441.

(2) – المرجع نفسه :ص 440

الآخرين من الأعيان المختارين من بين التجار وعكف على القيام بمهمته الجديدة في التسيير[1] .

ج- الإصلاحات الإدارية .

انطلق الشيخ بيرم في إصلاحه للأوقاف بمجرد تكوين إدارة الجمعية و تولية رئاستها معتمدا على ما جاء في أمر الدولة من هدف تكوين الجمعية و على التراتيب الموضوعة لها و جاء عمله على النحو التالي:

- تكون جهاز الجمعية من رئيس و عضوين و كاتبين مهمتها مراقبة الأحباس العامة في البلاد و لها نواب خارج العاصمة

- صدرت تراتيب لكل ما يخص إدارة الأوقاف.

- تكوين جهاز جديد للجمعية من الوكلاء و النواب و العدول.

- إعادة سلطة المجلس الشرعي على الأوقاف عوض البلدية و الجنود .

- إعادة تكليف القضاة و العدول بالإشراف المباشر على كل ما يخص الأوقاف

- إيقاف حساب الوكلاء القدامى و محاسبتهم[2].

د- الإصلاحات الإجتماعية :

يعد القانون عهد الأمان الذي سنّه الأمير محمّد باي إلا أنه على غير ما كان متوقعاً وبالرغم من احترازات بعض الوساط الرسمية ،فقد نجح محمد بيرم أولا في مناظرة التدريس من الطبقة الأولى 1867 وفي هذا السنة أيضا تم تأسست المدرسة الصادقية فكان برم من أعضاء اللجنة المتكونة لوضع برامجها وبذل في سبيل ذلك كلّما في وسعه بالمعتاد حيث بدأ إقناع أبناء العاصمة بإرسال أبنائهم إلى تلك المدرسة وإظهار مالهم من ثقة في الرجل الفذّ مؤسس ذلك المعد الطريق والفريد من نوعه ذي الثقافة المتنوعة والتربية المدنية والأخلاقية والدنية المعتبرة .حيث أعطى الشيخ المثل فأرسل إلى المدرسة ابنه الأكبر

(1) الصادق الزمرلي :المرجع السابق ، ، ص90

(2) الشيباني بنبلغيت : تجربة خير الدين الإصلاحية في الأوقاف التونسية ، ص11

الذي سيصبح فيما بعد بفضل خصاله وضميره المهني رئيساً لمحكمة لاستئناف بالقاهرة وفي نفس السنة دُعي إلى الإشراف على المطبعة الرسمية فأعطياها دفعاً جديداً وأصدر صحيفة "الرائد التونسي " الجريدة الرسمية في مواعيد منتظمة بعد ما كانت لا تصدر إلا بحسب الظروف ومجرى الأحداث المتغيّر، وتعتبر الجريدة الوحيدة التي تنشر الأفكار والنظريّات الاجتماعية التي ينادي بها محمد بيرم حيث تم تولّى تنظيم المستشفى الصادقي علة النحو الذي شاهده في أوربا واستعان على ذلك بأطّباء مهرة تم تدشينه المستشفى بنفسه يوم 10فيفري 1879 [1].

(1) المرجع نفسه :ص 94

المبحث الرابع: عبد العزيز الثعالبي :ابن الخلدون الجديد1873–1944:

1– حياته:

هو عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي[1]، من أصل جزائري ولد في تونس العاصمة سنة 1874،كان زعيم تونس واشتهر بالخطابة والكتابة [2].

نشأ الثعالبي فيكنف جدّه عبد الرحمان الثعالبي الذي تولى رعايته وتربيته إسلامية أصلية حيث أنه وبعد ان حفظ نصيباً من القرآن الكريم بالمدرسة الابتدائية في حي باب سويقة حيث درس بجامع الزيتونة[3]. فتعلم النحو والصرف والبلاغة والمنطق وعلم الكلام والحديث والتفسير والرياضيات وعلم الفلك وقضى فيه سبع سنوات مرحلة التعليم الثانوي بمرحلتيه وتخرّج منه شهادة التّطويع[4] سنة 1896 إلتحق بالمدرسة الخلدونية أقبل على دروس أساتذتها من المصلحين مثل سالم بوحاجب[5].

---

(1) **عبد الرّحمان الثعالبي** : (845هـ–1470م)من أشهر علماء الجزائر ، صوفي من كبار المفسرين وأعيان الجزائر تعلم في بجاية وتونس ومصر تولى القضاء ، زار معظم أقطار العربي ثم عاد إلى مدينة الجزائر واستقرها وأسس فيها زاوية معروفة ومسجداً مشهوراّ اشتغل بالتأليف وتدريس إلى أن توفي سنة 1470م ودفن بزوايته وقبره يزار إلى يومنا هذا خلف العديد من المؤلفات أهمها : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة ، روضة الأنوار ونزهة الأخبار ، المختار من الجوامع في القراءات شرح مختصر أبن الحاجب في الفقه ...إلخ ينظر : أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة : **معجم مشاهير المغاربية** ،ص 107

(2) حنَّا الفَاخوري:المصدر السابق ، ص 617 . ينظر للمحق رقم 12 .

(3) أحمد خالد : المرجع السابق ،ص51

(4) **التطويع**: الشهادة التي يتوج بها الطالب بعد تخرجه من جامع الزيتونة إلى غاية سنة 1933م حيث ثمّتغيير الشهادة إلى ما يعرف بشهادة " التحصيل ".ينظر :أحمد خالد ،ص29

(5) **سالم بوحاجب**: 1827– 1924 اللغوي والفيلسوف والمربيّ كان إماما خطيباً "بجامع سبحان الله "في تونس حيث كان يتصف عند علماء البلاد التونسية بنضج في تفكيره المبكّر وصواب رأيه لخصوبة خياله وقوّة حجته كما عيّن عضواً في مختلف اللجان المحدثة لضبط الإصلاحات الأساسية كإحداث مجلس بلدية الحاضرة. انظر الصادق الزمرلي :المرجع السابق ، ص169 كان من المعجبين بالشّيخ محّمد عبده تولّى الفتوى في تونس سنة 1905من آثاره ديوان خطب وديوان شعر .ينظر : محمد محفوظ ،ص .77 ينظر للملحق رقم13

والبشير صفر[1] وعلى بوشوشة[2] وغيرهم من روّاد النهضة الفكرية بتونس[3].

2-كتبه:

شارك في تأسيس وفي تحرير عديد من الصحف ذات الاتجاه الديني والسياسي والأدبي فمنها سبيل الرشد الصادرة سنة 1895[4]. وقد برز فيه ميله إلى الجدل الديني وكذلك جريدة الاتحاد الإسلامي التي أصدرها بالاشتراك مع علي باش حانبة[5]، سنة 1909وقد برز فيه اتجاهه الوحدوي الإسلامي[6].

حيث قام عبد العزيز الثعالبي عديد من المقالات والبحوث التي نشرت في الجرائد المجالات تأليف عدد هام من المؤلفات والكتب صدر جزء منها في حياته والجزاء الأكبر بعد وفاته وقد بيّن من خلالها منطلقاته الفكرية ولتوجهاته،السيّاسية حيث يذكر في مجلة البصائر أنّ القضية التونسية جزء لا يجزأ عن القضية العامة العربية الكبرى ، ونجاحها يتوقف على تحقيق نجاح تلك القضية ، وهي في الواقع مرتبطة

(1) **البشير الصفر** : 1865-1917المربي والموظّف الكبير ، هو أحد قادة الحركة الإصلاحية حتى أنه لقب ب"أبي النهضة التونسية" الثاني بعد خير الدين التونسي وفي السنة 1909دعي للمشاركة في المؤتمر الاستعماري المنعقد بباريس فقدم خلاله بحثا حول مسألة الأوقاف الإسلامية أثار فيها تأثيرات الاستعمار الزراعي.له كتاب مفتاح التاريخ انظر الصادق الزمرلي :المرجع السابق، ص 121 أرسل في بعثة دراسية إلى فرنسة ثم انتدُب لخدمة الدولة فعين مترجماً بالكتابة العامة ثم رئيساً لجمعية الأوقاف فقام بمشاريع اجتماعية كبيرة الفائدة دُعي "أبا النهضة التونسية "ينظر: حنَّا الفَاخوري: المصدر السابق ، ص619 :ينظر للمحق رقم14

(2) **علي بوشوشة** : 1859-1917الصحافي والمزارع مؤسس جريدة الحاضرة ،مضيفاً ان علي بوشوشة ولد في مدينة بنزرت ،وهو ينحدر من عائلة ذات أصل جزائري هاجرت من مدينة جيجل إلى بنزرت مند عدة أحقاب.ينظر الصادق الزمرلي :المرجع السابق ، ص133 .

(3) حمّادي السّاحلي ، المنصف الشنّوفي :**موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين** ،منظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،دار الجيل بيروت لبنان ،مج4،ط1، 2005، ص812.

(4) **سبيل الرشاد** :حيث اصدر مجلة سبيل الرشد باللغة العربية وعمره 19سنة وهي مجلّة ذات توجه إسلامي وحدوي تنويري تحرّري ولكن الجريد لم تلبث ان عطّلتها السلطات الفرنسية لجرأة محررها ومواضيعها ينظر : عبد اللطيف الحناشي، الشيخ عبد العزيز الثعالبي رائد السلفية المستنيرة في المغرب العربي ،جامعة منوية تونس ،ص 8 .

(5) **علي باش حانبة**: 1876-1918المنظّم والصحافي ورجل السياسة أحد مؤسسي حركة الشباب التونسي. تشبع مبكرا بالأفكار العلمانية والإصلاحية حيث قام بتأسيس جريدة التونسي وهو مؤسس جمعية قدماء الصادقية سنة 1906 .انظر الصادق الزمرلي :المرجع السابق ، ص141 ينظر للملحق : رقم 13

(6)أحمد خالد : المرجع السابق ،ص51

بمشكلات السياسة الذي قامت به دول أرويا منذ فجر القرن التاسع عشر أي منذ بدأت تتطلع إلى الاستعمار والانتشار الاستعمار الأوربي مملكة أثر مملكة ، حتى طوقت الاستعباد ، وفقدت سيادتها في الداخل والخارج [1].

والتي اتّسمت في مجملها بقراءة حال الأمتين العربية والإسلامية ماضياً وحاضراً قراءة آخذ للعبر وبرؤية تحديدية تطورية للمستقبل انطلاقا من المعطيات الموضوعية ومن إيمان الشيخ عبد العزيز الثعالبي بالقدرات الفكرية والمادية للأمتين العربية والإسلامية ومن هذه الكتب نذكر ما يأتي :

* **كتاب تونس الشهيدة** :يهدف من خلاله إلى تعريف الجمهور الفرنسي على الأوضاع المزرية التي شهدها التونسيون في ظل الحماية الفرنسية[2] .

* **كتاب روح التحرّر في القرآن**:حيث قام ينشر أفكاره الإصلاحية المثيرة للجدل في جميع الأفكار التي كانت موضع نقاش في ذلك الوقت ،كتحرير المرأة المسلمة الطرق الصوفية والبدع المرتبطة بها ،الأولياء والمذهب الإسلامية حيث دعا المؤلف إلى الرجوع إلى الإسلام الصافي النقي كما جاء من منبعه الأول وتخليصه مما شابه من خرافات كما دعا الثعالبي إلى تحرير المرأة بنظريّات دينية[3].

*__كتاب تاريخ الشمال إفريقيا__ :يمثل عرضاً موجزاً لتاريخ المغرب العربي من بداية الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة الأغلبية حيث ركّز على الأحداث السّياسية كما انّه حمل على جميع الفرق الشيعية (الباطنية) واتّهمها بالكفر والإلحاد وبثّ روح الشقاق بين المسلمين و العمل على تقويض الوحدة الإسلامية[4].

---

(1)**المجلة البصائر**: لسان جال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،:،دار الغرب الإسلامي ، السنة الثانية 1937م، العدد 51-89،ص4

(2) عبد العزيز الثّعالبي :**تونس الشهيدة** ،ترجمة وتقديم سامي الجندْي،دار القدس ،ط1، 1970

(3)- أمحمد يزير : **عبد العزيز الثعالبي وقضايا عصره 1876-1944م**،مذكرة ماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر بوزريعة ، السنة الجامعية 2010-2011،ص46

(4)- عبد العزيز الثّعالبي : **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة الأغلبية** ، جمع وتحقيق :أحمد بن ميلاد ومحمّد إدريس وتقديم مراجعة حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ،ط2، 1987، ص17

***كتاب الرّسالة المحمدية** : آثناء إقامة الشيخ عبد العزيز الثّعالبي في بغداد مدّرسا للفلسفة الإسلامية بجامعة البيت تمّ له تأليف كتابه حول رسالة الإسلام مند نزول الوحي إلى يوم وفاة الرّسول الأكرم صلى الله عليه وسلم ،حيث يمثّل معجما في أسباب نزول الآيات كما أنّ لأسلوب الثعالبي القدرة على نقل القارئ حتى يضعه في موقع الأحداث ،كأنما يعيشها بذاته[1].

3- الحركة الإصلاحية في عهده:

أ- الإصلاحات السياسية:

عرُف الشيخ الثعّالبي بسعة إطلاعه وتعدد اهتماماته (صحافة ،تدريس كتابة،الممارسة السياسة والنقابية ، الخطابة ...)كما عرف بكثرة رحلاته (زار اغلب البلاد الإسلامية وبعض الدول الأوروبية) وتفاعله مع كل ما هو جديد وحديث تشبع الشيخ بالأفكار الإصلاحية لخير الدين التونسي والأفغاني[2] ومحمد عبده[3] وغيرها من المصلحين كما ربط علاقات متينة بالشخصيات الفرنسية الممثلة للحركات الراديكالية والاشتراكية الفرنسية المتواجدة بتونس وتفاعل مع أفكارهم ونشاطاتهم وانظم إلى جمعية الفكر الحرّ تأسست سنة 1903 التي من أهدافها مقاومة الجهل والضلال والتعصب الديني والسعي إلى نمو

---

(1) -عبد العزيز الثعالبي : **الرّسالة المحمدية من نزول الوحي إلى وفاته الرّسول صلى الله عليه وسلم** ، تحقيق صالح الخرفي ، دار بن كثير ، دمشق بيروت ،ط1، 1997، ص07

(2) **جمال الدين الافغاني**: (1838-1897) من كبار المصلحين الإسلاميين في أواخر القرن التاسع عشر ولد بقرية أسد أباد بالقرب من كابل واسع الاطلاع بالعلوم العقلية والنقلية هاجر إلى الهند ثم الحجاز فعّين عضوا مجلس المعارف ثم قصد مصر فنفخ فيها روح نهضة إصلاحية أسس مع محمد عبده جريدة العروة الوثقى نفته الحكومة المصرية إلى باريس ثم دُعى إلى القسطنطينية وتوفي بها ومن آثاره تاريخ الأفغاني .ينظر : محمد صالح الجابري : **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962**،دار الحكمة ، 2007،ص71 .ينظر للملحق رقم 14 صورة جمال الدين الأفغاني وكذلك محمد عبده

(3) **محمد عبده** :(1842-1905) فقيه أديب سيّاسي وصحفي، من مواليد قرية شنيرا في غرب مصر ،تلميذ الأفغاني وزميله في الدعوة للإصلاح والخروج بالعالم الإسلامي من حالة التدهور الديني والاجتماعي والسياسي وعُيّن في العديد من المناصب المهمة ، كأن آخرها مفتيا للديّار المصرية توفيّ بالإسكندرية من مؤلفاته : تفسير القرآن الكريم ، رسالة التوحيد الإسلام . ينظر : محمد صالح الجابري : المرجع السابق ، ص 71

العقل ونشر العلم حيث تأثير الثّعالبي بكل الأفكار والتجارب التونسية والعربية والأوروبية[1].
وبعد إقامة في الجزائر والمغرب عاد الثعالبي سنة1904إلى تونس وأخذ يجهر بآرائه الوطنية وبأفكاره التحررية في الميدان الديني فتسبب ذلك في إيقافه ثم حكم عليه با سجن لمدة شهرين ولما أسس على باش حزب الشباب سنة1907فكلف بالإشراف على النشرة العربية لجريدة التونسي[2].
ومرّ تفكيره بمراحل ثلاث: المرحلة الأولى: تميزت بانتمائه الفكري للسلفية المستنيرة.
أما المرحلة الثانية فتميزت بمساهمته في تأسيس حركة الشباب التونسي 1907[3]ثم الحزب الحرّ الدستوري التونسي 1920 [4] .
وكانت الحركة الشباب التونسي تمثل إمتداد للحركة الإصلاحية المشرقية في القرن 19 أما الامتداد فيظهر في ارتباط الحركة بالاتجاه الوحدوي الإسلامي الجامعة الإسلامية أما التجاوز فيتجلى في الطابع الوطني التونسي الذي ميز مطالب حركة الشباب التونسي الوطنية عن مطالب الشباب العثماني في تيار الجامعة الإسلامية.
في حين تميزت المرحلة الثالثة بدعوته للفكرة المغربية والعربية من خلال الدعوة والتحضير للمؤتمر الإسلامي بالقدس الذي انعقد سنة 1931[5].

---

(1) عبداللطيف الحناشي :**الشيخ عبد العزيز الثّعالبي رائد السلفية المستنيرة في المغرب العربي** ،أستاذ التاريخ السياسي المعاصر والراهن ،جامعة منوبة تونس، ص10

(2)-أحمد خالد : المرجع السابق ،ص51 /52

(3) **حركة الشباب التونسي** :جمعت حركة الشباب بين عناصر زيتونية تؤمن بأن الإسلام عامل نهضة وتقدم وبين نخبة متعلمة في المدارس الفرنسية وكان رأس هذه الحركة علي باش حامبه الذي أسس جريدة التونسي سنة 1907باللغة الفرنسية .ينظر : يوسف مناصريّة :الحزب الحرّ الدّستوري التونسي 1934/1919م ،دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ،ط1، 1988، ص 229

(4)**الحزب الحرّ الدستوري التونسي** : عقدت النخبة التونسية اجتماعاً عاماً بتونس يوم 5فيفري 1920، واتفق الجميع على برنامج سياسي جديد ،صار بعد إقراره النهائي يمثل المطالب الأساسية للحزب الحر الدستوري التونسي ، ويبين هدفه على على المدى القريب والبعيد حيث تم اتفاق عليه من طرف الثعالبي بعد بتاريخ 7فيفري بعد تعديلها وردها إليه في 18فيفري من نفس السنة. ينظر:يوسف مناصريّة :المرجع السابق ،ص56

(5) عبد اللطيف الحناشي المرجع السابق ،ص11.

ب–الإصلاحات الاجتماعية:

وآمن إيمانا راسخا بنشر التعليم على نطاق واسع كما اعتبار إجبارية التعليم منبعاً من منابع الدين الإسلامي الحنيف مع تأويل القرآن تأويلا صحيحاً لتخليص العقلية الإسلامية من شوائب الجهل والأوهام حيث انتشر في المغرب العربي عدد هام من الطرق الصوفية واختلفت الآراء حول وظيفتها فيرها البعض لعبت دوراً متميزاً في الحفاظ على الدين والهوية العربية الإسلامية لشعوب أما آخرون أنها تعاملت مع الاستعمار وساعدت على تحقيق أهدافها ومنهم من يرفضهم لأسباب دينية وحضارية وسياسية كما هو حال الشيخ عبد العزيز الثعالبي وبقية زعماء الإصلاح الديني حيث خصص الثعالبي فصلين من كتابه لنقد الطرق الصوفية يعتبرها أنها ساهمت في تعطيل تقدم الحضارة الإسلامية وأخرت المسلمين ويعتبر كتاب قاسم أمين تحرير المرأة الذي صدر سنة 1899 قد تأثر به الشيخ الثعالبي من خلاله نادى بضرورة إعطاءها حقوقها حيث أكد على ثلاث قضايا رئيسة ذات علاقة بتحرر المرأة وهي المساواة وكذلك الحجاب من خلال إعادة تركيب المجتمع الإسلامي كما كان في عهد الرسولﷺ وكذلك العلم واجب على المرأة المسلمة[1] .وهكذا كان الثعالبي رجل الجدل ، والتحليل ، والمنطق ، كما كان رجل الساعة الذي وجدت فيه تونس بطلها ولسان طموحها وآمالها [2].

نستنتج من خلال دراسة الفصل الثاني:

– حاول المفكّرين في تونس من تلك الإنجازات المختلفة دعو لتلك الإصلاحات وشاركوا في تنفيدها مشاركة فعّالة ولم يتخلّف عن التأييد والمؤازرة إلاّ فئة قليلة لم تؤثّر كثيراً في مجرى الإصلاح ، ذلك الإصلاح الذي تُوج بإدخال البلاد في حكم شبه دستوري سنة 1857،وهو الذي أعلنت أصوله باسم "عهد الأمان ".

– لخير الدين الذي زرع البذور الإصلاحية الأصلية التي لم تنبت ولم تثمر في القرن الماضي وفي المطلع

(1) المرجع نفسه : ص 13.

(2) حنَّا الفَاخوري:المصدر السابق ، ص 618.

هذا القرن إلا بمقدار محدود ومع الأيام هو صاحب الفضل في التنظيمات الإدارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية أنعش النهضة وخدم العلم والأدب وأفاد الحركة الوطنية.

-لقد كان خير الدين باشا مصلحاً سياسياً و اجتماعياً، دون أن يسمح لنفسه بالثورة ، وكان يعمل في هدوء وفي صمت وفي احترام الولاة والحكام وأعطى لتونس تجربة فريدة في نوعها ، ولكن التجارب كان قليلاً بينه وبين حكام ذلك العصر وفشلت تونس في الإفادة من مجهوداته الإصلاحية إفادة لها قيمتها ، وفي وقت احتاجت فيه تونس إلى هذه الإصلاحات وهذه المجهودات خاصة وأن المصالح والأطماع الاستعمارية كانت واضحة مهددة.

- حيث كان المصلحين ملتزمين بمرجعتين أساسيتين هما :مرجعية الإسلام الأولى أي إسلام النبوّة والصحابة من جهة ومرجعية الحضارة الإنسانية عامة وكما سجدّت في موصل إليه المجتمع الأوروبي من تقدم .

- ولقد شاهد أحمد بن أبي الضياف بعينه مثل خير الدين وبيرم الخامس ومحمد السنوسي التقدم الحضاري والأمن السائد في المجتمعات الأوروبية إذ لاحظوا جميعا ما نصّ عليه صاحب الإتحاف " ماشئت من علوم وصناعات وغنى وسياسة وظرف وحضارة وعدل تزكو أثمارها ،وتسطع أنوارها ، تموج شوارعها بالساكن في مراكز الأمن ومضاجع العافية يقودهم الأمل ويسوقهم الحرص على العمل" .

- لقد كان في أعماق نفوس هؤلاء المفكرين أمل عظيم في إرساء قواعد الحداثة بتونس ويمكن أن نعتبر أن هؤلاء المفكرين أن استجابوا لمتطلبات عصرهم في الحداثة والتقدم والتطور ودخلت الدولة في عهدهم وقد كانوا أصحاب سلطة ونفوذ في طور الحداثة.

- حيث قام عبد العزيز الثعالبي إصلاح النظام الاجتماعي بتركيزه على مبادئ العدل والإنصاف والحرية والمساواة وانتقاد الحكام المسلمين الذين يستغلون الدين لاستعباد الشعوب واستعمال أموال الدولة في هدمة مصالحهم الخاصة والاهتمام بالقضايا الاجتماعية كقضية تحرير المرأة التي خصص لها سمى كبيرا من كتبه روح التحرر القرآن ودعا فيه إلى تعليم المرأة المسلمة وفقا لتعليم السنة النبوية الشريفة .

- رغم الوضع الاقتصادي المتأزم وأطماع الدول الأوروبية في الاستحواذ على تونس ، ووجود حكم مستبد وكائدين من أجانب ولكن الإصلاحات جاءت متأخرة في وقت أصبحت فيه تونس تحت الهيمنة الفرنسية مباشرة.

الفصل الثالث:

أثـــر الحركة الإصـــلاحية في تونـس:

1- المبحث الأول في المجال السياسي.

2- المبحث الثاني في المجال الاقتصادي.

3 - المبحث الثالث في المجال الاجتماعي.

4- المبحث الرابع في المجال الثقافي.

كان احتلال البلاد التونسية سنة 1881 نتيجة لفعل عديد من العوامل تراكمت مند بداية القرن التاسع عشر منها ما هو داخلي يهمّ سياسية البايات الخاطئة في ميدان الاقتصاد والجباية معاملة السكان ومنها ما هو خارجي يتعلق الرأسمالية الأوربية في تونس وهيمنتها على خيراتها إنتاجاً تسويقا أدى كل ذلك إلى نضوب موارد الدولة وتفاقم النهب الجبائي فقامت بسبب ذلك انتفاضات تلتها حملات قمع رهيبة نشرت البؤس وعمقّت الهوة بين الأهالي والنظام القائم.

عجزت الدولة التونسية سنة 1869 عن تسديد ديونها فأعلنت الدول العظمى التي لها مصالح في تونس وفرنسا وبريطانيا عن إفلاسها ونصبت "لجنة مالية دولية"في مداخلها ومصاريفها فقدت البلاد مقّوماً هاماً من مقاومات سيادتها أصبح سيرها نحو الاحتلال العسكري ظاهراً للعيان بدون أن يقوى أحد إيقافه وفي السنة 1877 أجبر على الاستقالة نتيجة للمطامع الاستعمارية .

وفي سنة 1890 توفي هذا الإصلاحي العظيم الذي كان لجهاده في سبيل نهضة بلاده واستقلالها أثر كبير على تطور الحركة الوطنية في تونس ويتضح لنا أن الحركة الإصلاحية الوطنية في تونس وكفاحها من أجل التخلص من كل نفوذ أجنبي .ما هي نتائج الإصلاح؟ ومدى تأثيرها على الأوضاع التونسية؟

المبحث الأول: في مجال السياسي:

1- جذور فرض الحماية على تونس:

تعود محدودية التجربة الإصلاحية وهشاشتها إلى عوامل عديدة من أبرزها سوء الحالة الاقتصادية والحالة العامة للبلاد بالإضافة إلى طبيعة النظام السياسي الذي لم يكن يساعد على تطبيق الإصلاحات إضافة إلى العوامل الخارجية التي تكمن في التسرّب المالي الأوروبي والمعاهدات اللأ متكافئة التي فرضتها القوى الأوروبية كلّ هذا جعل البلاد موطنا مفضلا للتجارة الأوروبية إلى جانب انخفاض المعالم الجمركية على البضائع الأجنبية عند دخولها بالإضافة إلى سياسة المديونية حيث اقترضت الدولة أموالا كثيرة من الدول الأوروبية ولكنها عجزت عن تسديدها كلّ هذا أدّى إلى وضع المالية التونسية تحت نظام الرّقابة الأجنبية والتصرّف الأوروبي وبناء على ما تقدم ثّم تأسيس اللجنة المالية الكومسيون سنة 1869 ومن الطبيعي أن تعرقل هذه التدخلات التي أضرت بالاقتصاد ومست السيادة الوطنية[1].

حيث لعبت الظروف العالمية دوراً كبيراً في توجيه السياسة الخارجية لتونس ،لذلك اتسمت هذه السياسة خلال الفترة بمحاولة التوفيق بين اتجاهين متناقضين وهما:

محاولة الحفاظ على الارتباط بالدولة العثمانية ثم الاندفاع بقوة نحو فرنسا ،فقد تميزت سياسة البايات ،منذ عهد أحمد باي بالتباعد عن الدولة مع الإبقاء عن روابط إسمية ، وذلك تبعا سياسة في تركيز دولة لها كيانها الخاص ، دون الانفصال التام عن الإطار العثماني وكانت فرنسا تعمل جاهدة في تخطيط التباعد وتريد الإبقاء على الوضع دون تغيير وقد حاول الصادق باي[2] لصعوبة الحفاظ على نوع من التوازن ، بين الاتجاهين ، خاصة عن طريق الوزير خير الدين ،سواء بواسطة سفراته الاستنانبول أو أثناء توليه الوزارة

---

(1) جبيب حسن اللولب : أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر ،ص56

(2) **صادق باي** : اعتلى العرش بعد وفاة أخيه محمد باي(1859-1881) وعلى عهده أصبح خير الدين وزيراً أكبر والبالغ آنذاك السابعة والستين من العمر هو الأمير الثاني عشر قفي الدولة الحسينية ، وخلف أخاه محمّدا قبل انتصاب الحماية باثنين وعشرين سنة كما وقع معاهدة باردو التي فرضت فرنسا من خلالها الحماية على تونس ينظر : علي المحجوبي ،المرجع السابق ،ص 9 .ينظر للمحق رقم15

الكبرى فقد كان هذا الوزير يمثل الاتجاه القوى نحو تمتين الروابط مع الدولة العثمانية حتى قال الشاعر محمود قبادو في إحدى سفراته عندما كان وزيرا للبحر:

وأمضي وزير البحر لله درة بسفيره لإسلانبول يستحكم الربطا [1].

وتعود أصول الحركة الوطنية التونسية إلى ما قبل الحماية الفرنسي لتونس سنة 1881 وذلك حين حاولت النخبة المستنيرة إقامة دستور يضع مصدر السلطة في يد الشعب ويرد على إغراءات الفرنسيين للباي بالانفصال عن الدولة العثمانية ، وقد تنبه رجال الحركة الأوائل وعلى رأسهم خير الدين إلى نوايا الاستعمار الرامية إلى إضعاف المملكة وابتلاعها مثلما كان الحال مع الجزائر وقد ركز زعماء الإصلاح الأوائل على إبقاء الانتماء إلى الخلافة وإقامة نظام الدستوري يمكن الشعب التونسي من تقييد الباي ومراقبة تصرفاته وحراسة البلاد وحفظها من دسائس الاستعمار[2]. حيث كانت السياسة الفرنسية ترمي إلى هدفين تجاه تونس فهي أولاً لا تريد أن تكون لها حدود مع الدولة العثمانية لذا ترغب ان تبعد العثمانيين عن تونس لتكون فاصلاً بينها وبينهم في طرابلس وبالتالي تريد ان تنهي الحكم العثماني في تونس كي يفتح المجال للتدخل في هذا الإقليم[3].ولكن جهود خير الدين كانت تصطدم دائما برغبة فرنسا المتمثلة في إبعاد تونس عن الدولة العثمانية وكأن الانجذاب نحو فرنسا واضحا خاصة مند إعلان الدستور 1861طبقا لما سمح به من حرية التملك والتجارة والسكن حتى أن إزاحة خير الدين من الوزارة الكبرى كانت سبب تدخل قنصل فرنسا روسطان[4]، وتأثيره على الباي بعد أن هيأ مصطفى بن

---

(1) الشّيباني بنبلغيت: **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي 1882/1859** ،تقديم عبد الجليل التميمي ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلّية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة صفاقس ،الهيئة العامة لمكتبة تونس،ط1، 1995 ،ص66

(2) يوسف مناَصريّة : المرجع السابق ، ص15

(3) محمود شاكر : **التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر بلاد المغرب** ، المكتبة الإسلامي ، ط2، 1996، ص122

(4) **القنصل تيودور روسطان** : نائب الدولة الجمهورية الفرنساوية أجتهداً في المناقشة وكانت العلية بالآخرة يمثل فرنسا وعلى يده تمت عقده بحماية وفي غده رقته دولته لمنصب وزير مقيم بتونس وهو آخر قنصل فرنساوي بقنصلات فرنسا بتونس .ينظر : محمد الشاولي بن القاضي : **المجلة الزيتونية** ،مج1،ج1، مطبعة التونسية بنهج سوق البلاط ،عدد 57، بتونس ، ص337

إسماعيل[1] والتأمر والضغط الداخلية بتحريضه [2] ،لذلك المنصب ولم تكن معاهدة الحماية على تونس 1881 [3]إلا إقرارا الأمر واقع تتوجياً لجهود متواصلة مند سنين سبقت من التدخل السياسي والمالي المشروع وغير المشروع فا جاءت المعاهدة التمثل إنهاء لمرحلة وبداية لمرحلة جديد لا غير[4]. حيث شكلت الايالة التونسية مند سبعينات القرن التاسع عشر مجالا خصباً لتوسع فرنسا التجاري والمالي وكانت فرنسا في حاجة أنداك إلى إيجاد أسواق ومجالات لاستثمار الفائض من رؤوس أموالها وترويج المنتجات المصنعة التي غمرت سوقها الداخلية وفعلا فإن الاقتصاد الرأسمالي الفرنسي ببلوغه حدا معينا من النمو أصبح يشعر بالضيق داخل حدود ترابه الوطني[5].

حيث تأثرت هذه الأوضاع التي كانت تعيشها تونس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مطامع القوى الاستعمارية الأوروبية العظمى وخاصة فرنسا وانكلترا بل وحتى ايطاليا[6] .

كما ساعدت أوضاع تونس الداخلية فرنسا على تنفيذ مشروعها وذلك نتيجة هشاشة السلطة الحاكمة في تونس والتي كانت اليد بايات الأسرة الحسينية الذين كان سلوكهم قبل حماية أقرب إلى سلوك رؤساء الدول وزعماء السياسة ، وكان همهم إدارة شؤون الأسرة وضمان مواردها [7] .

حيث كانت الفئات الكادحة في تونس قبيل الحماية تردخ تحت النظام ضريبي ثقيل جدا ،ورسخ ذلك

---

(1) **مصطفى بن إسماعيل** : من مواليد تونس وهو الوحيد من الوزراء الذي لم يكن من المماليك ، إلا أن أصله غير معروف بدقة وزير العمالة قرّبه الباي الصادق باشا إلى أن رقّاه إلى رتبة أمير لواء ، قدّمه على معاصريه وقد ولاّه الوزير الأكبر خير الدين التونسي وزارة البحر و.ينظر الشّيباني بنبلغيت : تقديم عبد الجليل التميمي،المرجع السابق ، ص72

(2) Mongi Smida :Khereddins Ministre Reformateur، Malson Tunislenne De L'Edrtion ، p359

(3) الملحق : رقم 22 وثيقة تبين إنتداب 1881

(4) عبد الجليل التميمي :المرجع السابق،ص66

(5) علي المحجوبي : **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904–1934)**، تعريب عبد الحميد الشابي، المجمع التونسي للعلوم والأدب بيت الحكمة ،1999، ص17

(6) علي المحجوبي :**انتصاب الحماية الفرنسية بتونس** ،تر: عمر بن صنو –حليمة قرقوري –علي المحجوبي ،دار سراس للنشر تونس ،1986،ص39

(7) خليفة شاطر وآخرون ، **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال** ، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية تونس ،2005،ص36 .

النظام الضريبي نظام إقطاعياً لم تكن الرعايا ضمنه تدفع الضرائب بناء على مواردهم المقدرة أو الحقيقية بل حسب نفودهم أو قدرتهم على المواجهة[1] .

ووصل الأمر إلى نهب الحكومة مداخيل الأوقاف وتضاعف الدين العمومي وكان أرباب الأموال من الأوروبيين يشجعون الحكومة على إبرام القروض من بنوك لندن وباريس[2].

2- فرض السلطة الفرنسية في تونس :

احتلت الجيوش الفرنسية تونس ودخلتها من ثلاث مناطق عن طريق البر والبحر وأحتل الجنود الفرنسيون بقيادة الجنرال بربار بنزرت وتوجهوا نحو تونس العاصمة وفي 12 ماي عسكر الجنود الفرنسيون بالقرب من باردو(كانت مدرسة باردو الحربية قد أغلقت تماما عام 1870) وتوجه بربار ومعه القنصل الفرنسي لمقابلة الباي وقدم له نسختين من معاهدة فرنسية معدة سلفا وأمهله خمسة ساعات[3]. فعرضت على الباي في عام 1879 مشروعا يقضى بقبوله حماية فرنسا ومرابط جيوشها ببعض المواقع الإستراتيجية ، ولكن الباي رفض ذلك ، كما رفض أيضا مشروع محالف عرض عليه في السنة الموالية وفي يناير 1881 عزم "جول فيري "[4] على تنفيذ حملة لاحتلال تونس وبعد إكمال الاستعدادات تذرع في مارس بهجوم قبائل الكرميين التونسية على القبائل الجزائرية واتهم بعدم القدرة على حفاظ الأمن واستطاع بذلك أن يقنع البرلمان الفرنسي بأهمية حماية مستعمرة الجزائر وإخضاع تونس للاحتلال [5].

---

(1) JeamGaniage.les Qrigines du peotectorat français en Tunis.1861- 1881.Pesses.universitaives de.france. Paris. 1959,P103.

(2) شوقى عطا الله الجمل :المرجع السابق ،ص 293.

(3) الطاهر بن عبد الله : المرجع السابق ، ص 25

(4) **جون فيري**:1832-1893 رجل سياسي رئيس الوزراء الفرنسي أحد أهم الداعيين إلى السياسة التوسعية الاستعمارية ، أمام مجلس النواب عن هذه الشواغل الاقتصادية والاجتماعية قائلا إن تأسيس مستعمرة يعني خلق سوق وأصناف بعد خمسة سنوات في توطئة كتبها لكتاب عنوانه التونكان والوطن الأم وكان أبو الحماية الفرنسية على البلاد التونسية .ينظر :علي المحجوبي : **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)**،ص 19

(5) مقلاتي عبد الله : المرجع السابق ، ص69.

فرضت الحماية [1] الفرنسية على تونس بمقتضى معاهدة باردو في 12 ماي 1881وعرفت باسم معادة باردو[2] وفي ذلك السنة قضت فرنسا على استقلال تونس[3].

وقد وقعها الباى محمد الصادق بينما كانت الجيوش الفرنسية تحاصر قصره (السعيد) حيث كان يهدف أن الاحتلال الفرنسي لتونس إنما هو احتلال مؤقت يزول متى اتفقت السلطتان العسكريتان الفرنسية والتونسية على أن الأمن قد استتب في البلاد[4] .

(1) **الحماية** : تتفق كلمة الحماية مع عبارة الفرنسي الشهير قمبيطة "لا جلاء ولا التحاق " ويقول أحمد قصاب في كتابه (تاريخ تونس المعاصر) أن الرأي العام الفرنسي في هذه الفترة لم يكن متحمساً لا يجاد مستعمرات ، وهو ما دفع فرنسا إلى الاستيلاء على تونس دون إحداث أي حركة مضادة .إلا أنها كانت في الوقع معاهدة استعباد استعماري للبلاد ووافق الباي بموجبها على احتلال القوات الفرنسية لتونس بدعوى إعادة النظام والأمن إلى حدودها وسواحلها . ينظر : لوتسكى :المرجع السابق ، ص332.

(2) **معاهدة باردو**:وقد نصف هذه المعاهدة على ان الاحتلال مؤقت وان القوات الفرنسية سوف تحتل فقط جهات على الحدود والشواطئ تراها لتوطيد الأمن وإن هذه القوات سوف ترحل عندما تكون الإدارة التونسية قادرة على حفظ الراحة والأمن والنظام وان فرنسا ملتزمة بحماية شخص الباي وأسرته ، وانه لا يحق للباي بأن يعقد أدنى عقد مع أجنبي بغير علم فرنسا .وإن على حكومة الباي ان تتعهد بمنع إدخال الأسلحة والمهمات الحربية وذلك وقاية لبدان الجزائر التي تملكها فرنسا.ينظر الطاهر بن عبد الله : المرجع السابق ، ص 25 .ينظر الملحق رقم16 و17

(3) ينظر للملحق: رقم 20

(4) يوسف مناَصريّة : المرجع السابق ، ص16

3- المقاومة :

ومع انطلاق الحملة الفرنسية على تونس بدأت مقاومة التونسية بها متواضعة فقد قام بها نفر من علماء جامع الزيتونة[1].وعلى رأسهم الجزائري الشيخ محمد السنوسي[2] ، حيث قاموا بمعارضة ومطالبة بإلغاء الحكم المباشر ولقد ضمت العريضة قائمة بأسماء أعيان البلاد ويعتبر محمد السنوسي أول المبادرين لمقاومة سلطات الاحتلال الاستعماري لكنه نفي خارج تونس وقد قاد بعده الشيخ المكي بن عزوز[3] أحد شيوخ الزيتونة الثوريين والذي استمر في المقاومة[4] .

ولم تمر سنتين على إخماد مقاومة الاعيان1885 حتى ظهرت دعوة إصلاحات جادة تزعمها الجزائري محمد المكي بن عزوز حث فيها على العودة إلى مقاومة الجمود والتخلف وقد اشترك هذا الشيخ الجزائري في إصلاحات خير الدين على عهد محمد الصادق باي تمسكا بمبدأ الإصلاح [5].

حيث أهتم بن عزوز بالقضية الوطنية التونسية من خلالها استطاع هذا العالم بفضل استشارته من أنّ

---

(1) خير الدين شترة: **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900-1939)** ، دار البصائر الجزائر ،2009 ، ص 81

(2) **محمد السنوسي**: ولد في تونس في 18سبتمبر 1851م التحق بجامع الزيتونة حيث أخد علمه على يد كبار مشائخ الجامع آنذاك كأحمد بن خوجة ليصبح مدرسا بجامع الزيتونة في 1870م ، وقد كان على علاقات وطيدة مع الصادق باي حيث كلفه بتعليم الأمير محمد الناصر ويعتبر من المع أعلام الإصلاح في تونس وقد تم نفيه من قبل السلطات الفرنسية إلى خارج العاصمة تونس ، وترك الشيخ محمد السنوسي آثار متنوعة شملت الأدب والقانون والتاريخ والدين ومنها مجمع الدواوين التونسية توفي في 17 نوفمبر 1900م : ينظر : خير الدين شترة : المرجع السايق ،ص81

(3) **محمد المكي بن عزوز البرجي** : 1854-1915 من أصول جزائرية ولد بنفطة بعد هجر والده إليها حيث أسس لها زاوية بنفطة الشهيرة ومستقر عائلته كان في طولقه (بسكرة) كان كثير التنقل بين الجزائر وتونس ولما دعا إلى مقاطعة فرنسا اقتصاديا في الجزائر ألقت السلطات الفرنسية القبض عليه فرحل منفياً إلى الأستانة 1884عينه السلطان مدرساً بدار الفنون لعب دوراً كبيراً في النضال الفكري والصحفي بالمهجر من آثاره " رسالة في أصول الحديث " السيف الرباني " وهيئة وديوان شعري "يضم 3الأف بيت توفي بالأستانة .ينظر : أبو القاسم سعد الله ،**تاريخ الجزائر الثقافي** ، دار الغرب الإسلامي ج7،ط 1، 1998، ص60-61-473

(4) خير الدين شترة: المرجع السابق ، ص 82

(5) المرجع نفسه : ص81

يكون له مدرسة تأثرت برأيه ونهجت على سؤاله وأهم هؤلاء الشيوخ عبد العزيز الثعالبي وغيرها ...[1] وانتهت الثورة بأحكام قاسية سلطت على القبائل، وعلى الرغم من كل ذلك فإن المقاومة الشعبية أكدت رفض التونسيين للاحتلال من جهة وسببت إرباكا لسياسة جون فيري من جهة أخرى [2].

وواصل الفرنسيون النفي والاعتقال للوطنيين التونسيين لقد سارعت فرنسا لاحتلال تونس خوفا من الشعار الذي أطلقه السلطان عبد الحميد الثاني " يا مسلمي العالم اتحدوا " حيث بلغت تنمية الشعور بالرابطة الإسلامية مداها وظهر الإحساس بالخطر الذي يهدد الشعوب الإسلامية أمام غول الاستعمار الغربي المتربص بها فيدعوها إلى التجمع حول تركيا ، بوصفها أقوى الشعوب الإسلامية وأقدرها على قيادة المعركة ضد العدو المشترك[3].

ولما استقر الوضع لفرنسا طالبت على لسان مقيمها "بول كامبون " بتحرير المعاهدة الحماية ، وتم توقيع الثانية بحلق الوادي ولم يلبث بعدها أن مات الصادق باي في أكتوبر 1882م وجدد هذه المعاهدة خلفه علي بن حسين باي وسميت بمعاهدة " المرسى " في 8جوان 1883 م[4] وأصبح كل شيء بعدها بيد المقيم الفرنسي[5].وفي 2 أكتوبر 1884حلت اللجنة المالية الدولية وانتقلت جميع شؤون تونس المالية إلى المقيم العام الفرنسي ، وفي 10نوفمبر 1884 فوض المقيم العام صلاحيات أوسع ، وأقر تشكيل مجلس لمعاونة المقيم العام يتشكل من مديري المصالح الفرنسيين كما فوض المقيم إقرار تنفيذ جميع المراسم الصادرة عن الباي ، وفي 23جويلية حول المقيم العام سلطة الجمهورية المطلقة داخل حدود تونس

(1) برجي رزيقة :شخصية **محمد المكي بن عزوز ودوره الإصلاحي(1854–1915م)**مذكرة لنيل الماستر التاريخ المعاصر ،جامعة محمد خيضر بسكرة 2012-2013.ص9

(2) مقلاتي عبد الله: المرجع السابق ، ص72

(3) محمود السيد : **تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، موريتانيا)** مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2006، ص136

(4).ينظر للملحق الرقم 18

(5) خير الدين شترة : الطّلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956،ج1،ط2، 2013 ،دار كردادة ،ص 90.

ووضعت تحت تصرفه جميع القوات الفرنسية [1]وجميع الهيئات الإدارية وأخذ المقيم العام يمارس سلطة مطلقة في عهد علي باي 1882-1901المطيع للسياسة الفرنسية وبذلك وقعت تونس تحت السلطة المطلقة للاحتلال الفرنسي باسم نظام الحماية[2] .

(1) ينظر للملحق: رقم 19 يبين أهم معارك التي وقعت في تلك الفترة .

(2) مقلاتي عبد الله : المرجع السابق ، ص73 .

المبحث الثاني : في المجال الاقتصادي:

فقد كانت تونس على عهد صادق باي تعاني ضعف الإنتاج الزراعي وأصبحت الصناعات التقليدية تعاني من المزاحمة الأوروبية مع تدهور التجارة الخارجية وأصبح الفلاحون مرغمين على بيع مواشيهم حتى يمكنهم دفع الأداء وارتفعت أثمان الحبوب والمحاصيل الغذائية[1].

فأول ما عمدت إليه سلطة الحماية في الميدان الاقتصادي هو فتح أبواب القطر التونسي على مصراعيه للهجرة الفرنسية والأوروبية ، وسنت لها قانوناً يفتح أمامها أبواب التجنيس بالجنسية الفرنسية ، ليسهل عليها التوظيف في الإدارة والسلك الحكومي وبينما اقتصرت أعمال الجالية الفرنسية القليلة في بداية الاحتلال على التجارة والوساطة في بعض المسائل الحكومية كالبريد والتلغراف والسكك الحديدية ،فإن عددها بدأ يتزايد بعد ذلك وتنوعت مهامها ووظائفها في سائر المرافق خاصة منها الزراعة والصناعة وقد استولت سلطة الاستعمار على الأراضي واقتطعتها للفرنسيين ، وعلى خزينة الدولة ووزعتها عليهم ومنحتهم كل التشجيعات المادية والأدبية ، ثم استحدثت لهم وظائف من العدم يتقاضون عليها أجوراً من خزينة الدولة التونسية [2].

من الجانب القضائي فأحداث محاكم فرنسية يلتجئون إليها في نزاعاتهم مع التونسيين في قضايا العقارات وغيرها وثبتتها بمراسيم صدرت في جوان 1884، وسبتمبر 1885 ،كما وضعت المحاكم التونسية تحت المراقبة المباشرة وبذلك خلقت طبقات ثلاث متصارعة في البلاد فإدارة الحماية وحكومة الباي تتنازعان على السلطة وتعتقد كل واحدة منها الحكم الفعلي ، والشعب التونسي وعلى رأسه الطبقة المثقفة وفي حين نجد تغلب إدارة الحماية على الباي وتجريده من جميع سلطه ، نجد النخبة التونسية المثقفة تقف صامدة أمام تعسف المعمرين واستبدادهم وجشعهم.ولم يقتصر استغلال هؤلاء على الفلاحة بل تعداها

(1) أحمد ابن أبي الضياف : المرجع السابق،ص336

(2) يوسف منَاصريّة : المرجع السابق ، ص36

إلى امتلاك المناجم ومصائد الأسماك والبنوك والمصارف والمصانع [1].

من النّاحية الزرّاعية: فإنّ هذا القطاع كان قبل الحماية يعاني من عدّة عوائق نذكر منها الضرائب المجحفة في حقّ الفلاحين حتى ان المزارع أصبح يخاف من زراعة أرضيه ،إلاّ أن خير الدين التونسي قام بعدة إصلاحات أعادت الاعتبار لهذا القطاع [2].

وقد ضم الفرنسيون في عام 1892الاراضي البور إلى ملكية الدولية وثم وضعوا أيديهم على مساحات شائعة في جنوب من صفاقس حيث استطاع الأوربيون أن يشاركوا في أنتاج الزيتون وهم من أهم موارد السكان الأصليين قبل الحماية وقد استمرت الحماية على إتباع سياسة اغتصاب الأراضي حتى بلغ ما يمتلكه الأوربيون ما يعدل5/1 مساحة الأراضي المزروعة التي تقدر 5من مساحتها حينئذ حوالي 3,866,000 هكتار ، ومع ذلك فإن نصيب الأوروبي في المنتجات الزراعية كان نحو 2بالمئة من مجموع الثروة الزراعية مع ملاحظة أن المنتفعين بهذه القيمة لا يزيدون على خمسة آلاف شخص بينما يعتمد معظم الشعب التونسي في معاشه على ثروة بلاده الزراعية[3].

من النّاحية الصناعية : نرى بأنها تأثرت تأثر شديد من منافسة البضائع الأجنبية الأقل ثمناّ وتدهورت بذلك صناعات النسيج والجلد واللّوح والخزف، حيث لعبت القبائل دوراً هاماً في اقتصاد البلاد اهتمت بتربية الأغنام فهي بذلك توفر الصوف والجلود التي تعتبر مواداً أولية الصناعة عتيقة يعيش منها جزء لا يستهان به السكان في مدن عديدة كتونس والقيروان وغيرها إلا ان الصناعات التونسية مثل صناعة الأقمشة والشاشية والمعادن وغيرها...

حيث أنّها لم تقدر على منافسة المنتوجات الأوروبية المصنعة والتي لايوظّف عليها أكثر من 8% من قيمتها عند نزولها بتونس والمعفاة من الضرائب المحلية التي تُوظف على البضائع التونسية ، ولم تستطيع

(1) يوسف منَاصريّة : المرجع السابق ، ص36.

(2) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص167.

(3) يسرى عبد الرازق الجوهرى : **شمال إفريقية دراسات في الجغرافية التاريخية** ، دار الجامعات المصرية ،1970، ص206.

الحكومة التونسية منع أو تحديد دخول هذه البضائع إلى البلاد وذلك بحكم النظام الامتيازات الذي تتمتع به بعض الدول الأجنبية[1] .

(1) علي المحجوبي : **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس** ، المرجع السابق ، ص19.

المبحث: الثالث :في المجال الاجتماعي:

وقد انعكست هذه السياسة الاقتصادية على الأحوال الاجتماعية ، فسادت روح المحق والقضاء المبرم على الشعب ،فانتشرت الأمراض خاصة المعدية منها وفتكت بالشعب وعم الفقر والجوع وكثر عدد المتسولين وكان المسلمون لا يتمتعون بأي ضمان اجتماعي يحميهم من حوادث الشغل وغيرها بل أصيبوا بمرض خطير على النفوس والقلوب شجعتهم الإدارة الفرنسية على استخدامها فرخصت فتح الحانات والملاهي ، فأصيب التونسيون بأمراض أخطر من السل والوباء وهي الآفات الاجتماعية وعلى رأسها الإدمان على الخمر[1].

إذ فضلا عن انخفاض الأجور، عمّت البطالة كثيراً من العمال وتعذر العمل على العديد من الشبان الذين بلغوا سن العمل ومن البديهي أن هذا الحشد من العاطلين ،يشكل مادام في البطالة أحد عوامل الاضطراب وعدم الاستقرار تجاه النظام الرأسمالي الفرنسي وقد كان وضعية مرتبطا بوضع الأسواق[2].

ولكن المصلحون التونسيون فلم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذه الحالة الخطيرة .فرغم أن الإدارة الفرنسية كانت تمنع على المسلمين إنشاء مؤسسات خيرية فإن البشير صفر رئيس جمعية الأوقاف ، قد عمل على إحداث مقر للعجزة وشجع المدرسة الفلاحية التي ظهرت للوجود سنة1902واهتمت بتدريب الأطفال اليتامى وأبناء الفقراء على الأشغال الفلاحية بالوسائل العصرية ، ومنحها ضيغة لتدريب تلاميذتها على الأعمال التطبيقية[3].

ولدت هذه الحالة السيئة " جسما مريضا " هو المجتمع التونسي الذي وصفه الحداد[4] ونبه إلى مواطن

---

(1)يوسف منَاصريّة : المرجع السابق ، ص38.

(2)علي المحجوبي: **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904–1934)**، ص19.

(3) يوسف منَاصريّة : المرجع السابق ، ص38.

(4) **الطاهر الحدد**: (1898–1935) ولد بتونس ودرس بالزيتونة من 1911إلى 1920 حيث أحرز على التطويع شارك في تأسيس الحركة العمالية ودفع عن حقوق المرأة وتعرض للاضطهاد من قبل الاستعمار والرجعية به من المؤلفات العمال التونسيون وامرأتنا في الشريعة والمجتمع وخواطر .ينظر : محمد صالح الجابري : المرجع السابق ، ص 79

دائه وكشف عن آلام المزارعين والتجار والطبقة الكادحة المستغلة استغلالا فاحشا ينذر يومئذ في ذلك المجتمع بالانفجار واستقصى الحداد أسباب انحلال العقد الاجتماعي في تونس آنذاك فحصرها في ثلاثة أمور هي : تدهور الأخلاق ، والمستوى العقلي المنحط ، ومشاهد البؤس المادي[1] .

انتهجت سلطات الحماية سياستي التجّهيل والتّفقير لضمان وتأمين وجودها في المستقبل ، وهذه السياسة أنتجت أمراضاً اجتماعية وصحية كارثية كانتشار البؤس نفسي وباء الكوليرا لكن سلطات الحماية قالت أنّ ذلك كان قبل الحماية وبذلك حاولت إظهار وجودها في تونس على أنّه رقي بها إنقاذ لها من هذا الوضع الكارثي كما نتج عن هذه السياسة ظهور طبقتين اجتماعيتين متمايزتين في تونس وهو ما عبر عنها عبد العزيز الثعالبي بالجنس الأعلى والجنس الأدنى[2] .

فالطبقة : الأعلى المسيطرة تتكون من الفرنسيين وبقية الأجانب من الأوربيين واليهود والطبقة الأدنى المحرومة أبناء التونسيين الذين جعلهم الاستعمار مكرسين لخدمة المعمرين وأبنائهم في جميع القطاعات مقابل أجور زهيدة وفقا للمرسوم الصادر على سلطة الحماية بتاريخ 4أفريل 1884 الذي ينص على أنّ كلّ من يرفض القيام بعمل التزم به مثل الخمّاس والعامل في طور التدريب يعاقب بالسّجن من قبل تدريبه (المحكمة الزّجرية) إلى أنّ يقبل الوفاء بالتزاماته وبعبارة أخرى ، كان على العامل التونسي أن يرضى بوضعيته البائسة إذ لم يكن له من خيار سواها غير السجن [3].

(1) أحمد خالد : المرجع السابق ، ص87 .

(2) عبد العزيز الثعالبي : تونس الشهيدة ، تحقيق وتقديم سامي الجني ، دار القدس ، بيروت ،ط1، 1975، ص200.

(3) علي المحجوبي : المرجع السابق ، ص 65.

المبحث الرابع : في المجال الثقافي:

شهدت تونس خلال النّصف الثاني من القرن التاسع عشر بوادر نهضة جديدة مسّت الكثير من القطاعات العسكرية والتعليمية والفكرية على غرار المشاريع الإصلاحية حيث أثارت السياسة الاستعمارية في تونس موجة إستياء واسعة ، فعمّ الاستياء كافة فئات الشعب التونسي ، ففي نهاية القرن التاسع عشر حدثت في البلاد إضرابات واسعة .وكان من نتائج السياسة الاستعمارية القومي التونسي ، أن بدأت تتشكل وتظهر التنظيمات والحركات السياسية المختلفة ففي عام 1905 تأسيس أولى حلقات التنظيمات السياسية التونسية فقد قام عدد من طلبة التونسيين ، الذين كانوا قد أنهوا دراستهم خارج البلاد وعادوا إليها بتأسيس (جماعة الحاضرة) التي كانت تطالب بقوة علاقات وروابط تونس مع الجامعة الإسلامية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كانت تطالب بتطبيق الدستوري التونسي وكان أبرز زعماء الحاضرة ، علي أبو شوشة صاحب جريدة" الحاضرة "وعبد العزيز الثعالبي ، الذي سيلعب دوراً رئيسياً في تاريخ تونس السياسي بعد الحرب العالمية صاحب جريدة العامية السياسي بعد الحرب العالمية الأولى ، وبشير صفوان رائد النهضة الثقافية في تونس[1].

وفي هذه الفترة تنظمت جماعة من خريجي الجامعات الفرنسية ومن مثقفي الزيتونة في حركة فكرية سياسية حول صحيفة "الحاضرة " وقاموا بحركة قومية دينية ترمي من جهة إلى تقوية روابط القطر التونسي بحركة الجامعة الإسلامية وتطالب من جهة أخرى بتنفيذ الدستور التونسي الذي ضل معترفا به بعد معاهدة المرسى واتفاقية باردو[2].

وقد أدت بعض الجرائد العربية الأخرى رسالة حضارية إلى جانب جريدة الحاضرة وكانت تقريباً كلها في خدمة الفكر الإسلامي والإصلاح الديني والنهضة العربية والعلمية أما الجرائد التي نالت رواجاً في الميدان الثقافي والإصلاحي والأدبي فنذكر منها جريدة(ترويح النفوس) النفوس التي زودت المسلمين بأخبار العالم

(1) أحمد إسماعيل راشد: المرجع السابق، 98

(2) د.اميل توما : **تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديثة** ، ج1 ، دار الفارابي دار الأدب والثقافة بيروت ، 1989، ص 163

لصاحبها عزوز بن أحمد الخياري وجريدة (المعارف) لمؤسسها الصادق المحمودي و(العدلية) التي مثلت نزعة الشباب التونسي في الميدان الأدبي لصحابها الهادي بن أحمد عباس ، يشاركه في تحريرها الشيخ الثعالبي بمقالاته الشهيرة ، وجريدة (الإسلام) الاجتماعية والإصلاحية الدينية لمديرها محمد الهاشمي بن عثمان المكي ولما كان التعليم بجامع الزيتونة يوجه الطالب وجهة يطلق فيها العنان لنفسه ، فإن النخبة التونسية وعلى رأسها البشير صفر ، قد عمدت إلى تأسيس الجمعية الخلدونية سنة1896 وجعلت برامجها مكملة لما كان يدرس بجامع الزيتونة .وكانت هذه الجمعية ترمي إلى ربط تونس بالعالم الإسلامي ارتباطاً وثيقاً ، وتزويد المسلمين بالعلوم العصرية [1]

ولئن كانت الحركة التعليمية ضيقة نظراً إلى عدم إكتراث إدارة الحماية بتثقيف أبناء الشعب في ذلك الدور من تاريخ تونس فقد أخذت على كل حال تتسع عاما بعد عام ،من خلال اهتمام المتزايد في الصحف الوطنية الصادرة بالعربية والفرنسية بمشاكل التعليم في تونس من حملاتها المنادية بإحداث المدارس القومية وتنظيم الصادقية وبإصلاح التعليم في الجامع الأعظم ، حيث أنهم رفضوا ان تتاح للتونسيين فرصة تلقي نفس التعليم الذي يتلقاه الأوربيون في المدارس الفرنسية خوفا من ان تتفتح عقول أهل البلاد على معاني الحرية والمساواة فيتطاولوا على إدارة الحماية[2].

أشهر مشاريع الإصلاح والتطوير : بالرغم من السياسة الاستعمارية الرامية إلى تهميش المؤسسة الزيتونية فقد احتفظت المؤسسة "سوماني بما يكفي من الحيوية لتكون لها القوة الرهيبة حيث جاءت مشاريع الإصلاح التعليم بجامعة الزيتونة ، ليس بالإمكان في اعتقادنا الإلمام بتطور التعليم بالمرحلة العليا داخل جامع الزيتونة دون التعرض لمحاولات الإصلاح التي شهدتها المؤسسة التربوية العريقة منذ انتصاب الحماية

(1) يوسف منَاصريّة : المرجع السابق ، ص23-24.

(2) أحمد خالد : المرجع السابق ، ص 91-92

أ- **مشروع لويس ماشوال** :مند قبيل الحماية في سنة 1880م قام لويس ماشوال[1] كمستعرب وكمتفقد للتعليم العربي بالجزائر بمهمة خبير في تونس مكلف بدراسة وإعادة التعليم داخل الجامع الأعظم حيث قام بتطور موقف الوطنيين إزاء نشر التعليم العصري حيث كان الوضع داخل الزيتونة في حال متدنية [2].تمكن خلال فترة زمنية قصيرة أن يغير التعليم بتونس عميقاً حيث أدخل عليه شيء من نظم التعليم الحديثة مثلا وجود عدد من المعاهد الخاصة للأوروبيين والمعهد الصادقى للمسلمين وقد شجع ماشوال هذه المعاهد غير ان أهم الوسائل التي اتخذها لتطبيق التعليم العصري للتونسيين هو إنشاء المعاهد الفرنسية – العربية [3].

ب- مشروع بلان دنقزلي : عقب الإضراب الطلابي الأول الشهير (أفريل 1910م) تشكلت لجنة التعليم بالزيتونة التي أنهت أشغالها خلال صائفة 1912م بسبب أحداث الزلاج[4] ومقاطعة التراموای[5] وأمام حركة الهيجان بالجامع الأعظم من سنة 1910م إلى سنة 1912 حيث ينص على إحداث مرحلة حقيقية للتعليم العالي ويقرر إتخاذ إجراءات تتعلق بشروط القبول ونظام الدراسة وحصص التعليم وبناء على ذلك فإن هذه الظروف لم نسمح مرة أخرى بإصلاح التعليم وطرق التدريس في تلك المؤسسة العميقة وهكذا فقد كان هذا المشروع الثاني المضاف إلى مشروع ماشوال الأول

---

(1) **لويس ماشوال**(louds machuel) :ولد بالجزائر سنة 1843وتمكن بفضل بيئته ان يتلقى تعليماً مزدوجاً أوروبياً إسلامياً الذي انشغل كمدير عام للتعليم التونسي من سنة 1883 إلى 1908 أحد الشخصيات الهامة ضمن رجالات الحكومة التونسية في بداية عهد الحماية الفرنسية. ينظر: عبد الجليل التميمي : **المجلّة التاريخية المغربية** ،عدد 3،تونس ،جانفي 1975،ص 64

(2) خير الدين شترة : الطّلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956،المرجع السابق ،ص752.

(3) عبد الجليل التميمي : **المجلّة التاريخية المغربية** ،عدد 3،تونس ،جانفي 1975،ص65

(4) **المعركة الزلاج** : 1911م أهمية خاصة تتمثل في اصطدام الشعب التونسي الأول مرة بعد الاحتلال مع القوات المسلحة في قضية سياسية ذهب ضحيتها عديد من الشهداء وهي نتجية عمل الفئة الوطنية الأولى التي بثت الوعي في نفوس التونسيين وحركة فيها الشعور بالذاتية التونسية وهي في الواقع تعتبر حلقة من حلقات المقاومة الشعبية المتعددة التي كان يعبر فيها الشعب التونسي. ينظر : الجيلاني بن الحاج يحي ومحمد المرزوقي : **معركة الزلاج 1911** ، الشركة التونسية للتوزيع ، ط2، 1974. ص11

(5) **مقاطعة التراموای** :تمثل حادثة مقاطعة الترام واي سنة1912 امتداد لحوادث مقبرة الزلاج سنة1911 ،ويعود سبب هذه المقاطعة هو حادثة مقاطعة الشعب للترام الكهربائي. ينظر : المرجع نفسه : ص12

يمثل الفرصة الثانية التي تم تقويتها لتحديث الجامعة الزيتونية [1].

ج- مشاريع المدرسين : لقد كانت طبقة المثقفين التونسيين في أواخر القرن 19م ومطلع القرن 20م تضم فئتين متباينتين هما فئة الزيتونيين المتكونة من شيوخ المجلس الشرعي ومدرسي الزيتونة وخريجية والطلبة الزيتونيين المنتسبين أساسا إلى الطبقات القروية والريفية ، وقد كانت هذه الفئة تحمل في معضمها فكرة الإصلاح المبني على الدين الإسلامي واللغة العربية وتتطلع إلى الشرق العربي .وهكذا يتضح من خلال ما تقدم أن الدراسة بهذه المرحلة من التعليم الزيتوني قد كانت في حاجة ماسة إلى الإصلاح [2]. حيث لم يقتصر الجانب الثقافي التعليمي على المساجد و الزوايا بل كان للجمعيات والنوادي دور حاسم حيث نشطت أكثر في بداية القرن العشرين فمنهما الجمعيات التي زرعت البذور الأولى للنهضة الوطنية التونسية [3].

نستنتج من خلال دراسة الفصل الثالث:

- كان من آثار الحماية الفرنسية في تونس في 12ماي 1881م القضاء على محاولات الإصلاح التي قام بها الجنرال خير الدين و رواد الحركة وتسلط الفرنسيون على كافة المؤسسات التربوية والتعلمية . وبالرغم من قصر المدة التي بقيها خير الدين في الحكم فإنّ أثره في النهضة الفكرية كان "عظيما " حيث شعر الفكر التونسي بتحجره فصحا واندلع ينشد التجديد في الإنتاج الفكري والأدبي ، وإذا كان خصوم خير الدين قد أفلحوا إبعاده عن الحكم فإن موجة الإصلاح لم يتوقف تيارها بل على العكس فقد أحدث عزله رد فعل قوي لدى أنصاره

- أن تونس وقعت بسهولة في يد الاحتلال الفرنسي الغادر بفعل المؤامرات التي حصلت وثقة البايات في الساسة الفرنسيين واعتمادهم على القوى الخارجية لتخليصهم من الاحتلال ، وقد عبر الشعب التونسي

(1) خير الدين شترة : الطّلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956،المرجع السابق ،ص760.

(2) المرجع نفسه : ص ص737، 760

(3) أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية** ،1900-1930، ، ج2، ط4 ، 1992. دار الغرب الإسلامي ،ص400

على رفضه للاحتلال وقاوم الغزاة ببسالة ولكن قلة الإمكانيات حالت دون تمكنه من تخليص بلاده التي أصبحت رسميا محمية فرنسية والباي حاكم شكلي .

الخاتمة

وفي ختام هذه المذكرة الموسومة بـــــ:**المحاولات الإصلاحية في تونس خلال القرن 13هـ /19م** توصلت إلى النتائج التالية:

– فقد شهدت عدة تغيرات من خلال محاولات بايات الأسرة الحسينية بناء الدولة التونسية بأسس حديثة اعتماداً على العناصر الوطنية ،وهو مأعطى تونس ميولا قومية مبكرة ،وقد حاول ببعض البايات في ظل استقرار الوضع الأساسي الأخذ بأسباب التقدم وعصرنة البلاد لكن الظروف الداخلية والخارجية القاهرة وطبيعة نظام الحكم كانت تنخر جسم الدولة وتؤول بها للوقوع تحت الهيمنة الإستعمارية .

أما في الفترة ما بين السنوات 1830-1837 ، وهي الفترة التي أحسّ فيها حكام تونس بالأخطار المباشرة التي كانت تحيط ببلادهم من ضعف الدولة العثمانية عسكريا واحتلال فرنسا للجزائر إعادة حكم الدولة العثمانية لطرابلس الغرب حكما مباشرا .فقد شعر التونسيون بوجوب الإصلاح حتّى يحموا بلادهم من تلك الأخطار المحدقة ، ، غير أنّ هذا التفكير الإصلاحي كان مطموس المظهر مضطربا بين الأخذ بأساليب الحضارة الغربية ، كما هي بسيّئاتها و حسناتها

حيث بدأ التفكير الإصلاحي بتونس في أوائل القرن التاسع عشر على يد بعض المصلحين من البايات والعلماء والمفكّرين ، وقد كان الإصلاح في أوله ينحصر في تنظيم شؤون الجيش خاصّة بعد القلاقل والفتن التي كانت يُحدثها الانكشارية ، جند الترك بالبلاد وكذلك في التّشجيع على الطلب العلم بجامع الزّيتونة.

-إن إنجازات هذا الفكر الإصلاحي كانت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أعمق تفكيراً و أوسع مجالا وأصدق رغبة .وذلك جاء الحكم الدستوري في البلاد ، وتولى المصلحون التونسيون تسير شؤون الدولة بأيديهم خاصة لما تولى خير الدين منصب " الوزير الأكبر" للدولة التونسية وبفضل جهود رجال الإصلاح وخاصة خير الدين ، تم تعديل عهد الأمان إلى "دستور سنة 1861

– حاول المفكّرين في تونس من تلك الإنجازات المختلفة دعوا لتلك الإصلاحات وشاركوا في تنفيذها مشاركة فعّالة ولم يتخلّف عن التأييد والمؤازرة إلاّ فئة قليلة لم تؤثّر كثيراً في مجرى الإصلاح .

– لخير الدين الذي زرع البذور الإصلاحية الأصلية التي لم تنبت ولم تثمر في القرن الماضي وفي المطلع هذا القرن إلا بمقدار محدود ومع الأيام هو صاحب الفضل في التنظيمات الإدارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية أنعش النهضة وخدم العلم والأدب وأفاد الحركة الوطنية.

– لقد كان في أعماق نفوس هؤلاء المفكرين أمل عظيم في إرساء قواعد الحداثة بتونس ويمكن أن نعتبر أن هؤلاء المفكرين أن استجابوا لمتطلبات عصرهم في الحداثة والتقدم والتطور ودخلت الدولة في عهدهم وقد كانوا أصحاب سلطة ونفوذ في طور الحداثة، ومن خلالها شاهد أحمد بن أبي الضياف بعينه مثل خير الدين وبيرم الخامس ومحمد السنوسي التقدم الحضاري والأمن السائد في المجتمعات الأوروبية

– إنّ الحركة الفكرية الإصلاحية التونسية التي تواصلت على أتّمها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كانت أسبق تاريخيا في استخلاص العبرة من تفوق أوروبا وتركيز الإصلاح على استعادة العلوم وإصلاح أوضاع الدين وغيرهما من المبادئ الإصلاحية من الحركة التي تزعّمها الأفغاني ومحمد عبده في الرّبع الأخير من القرن التاسع عشر، ويقف على انجازات ذلك الفكر الإصلاحي التونسي الذي خطا خطوات شاسعة في تحقيق وإنجاز تلك الأفكار الإصلاحية .

– أثار الحماية الفرنسية في تونس في 12ماي 1881م القضاء على محاولات الإصلاح التي قام بها الجنرال خير الدين و رواد الحركة وتسلط الفرنسيون على كافة المؤسسات التربوية والتعلمية وبالرغم من قصر المدة التي بقيها خير الدين في الحكم فإنّ أثره في النهضة الفكرية كان "عظيما " حيث شعر الفكر التونسي بتحجره واندلع يناشد التجديد في الإنتاج الفكري والأدبي ، وإذا كان خصوم خير الدين قد أفلحوا إبعاده عن الحكم فإن موجة الإصلاح لم يتوقف تيارها بل على العكس فقد أحدث عزله رد فعل قوي لدى أنصاره.

الملاحق

ملحق رقم01 : سلم بياني يمثل البايات الحسينيون في القرن 19[1]

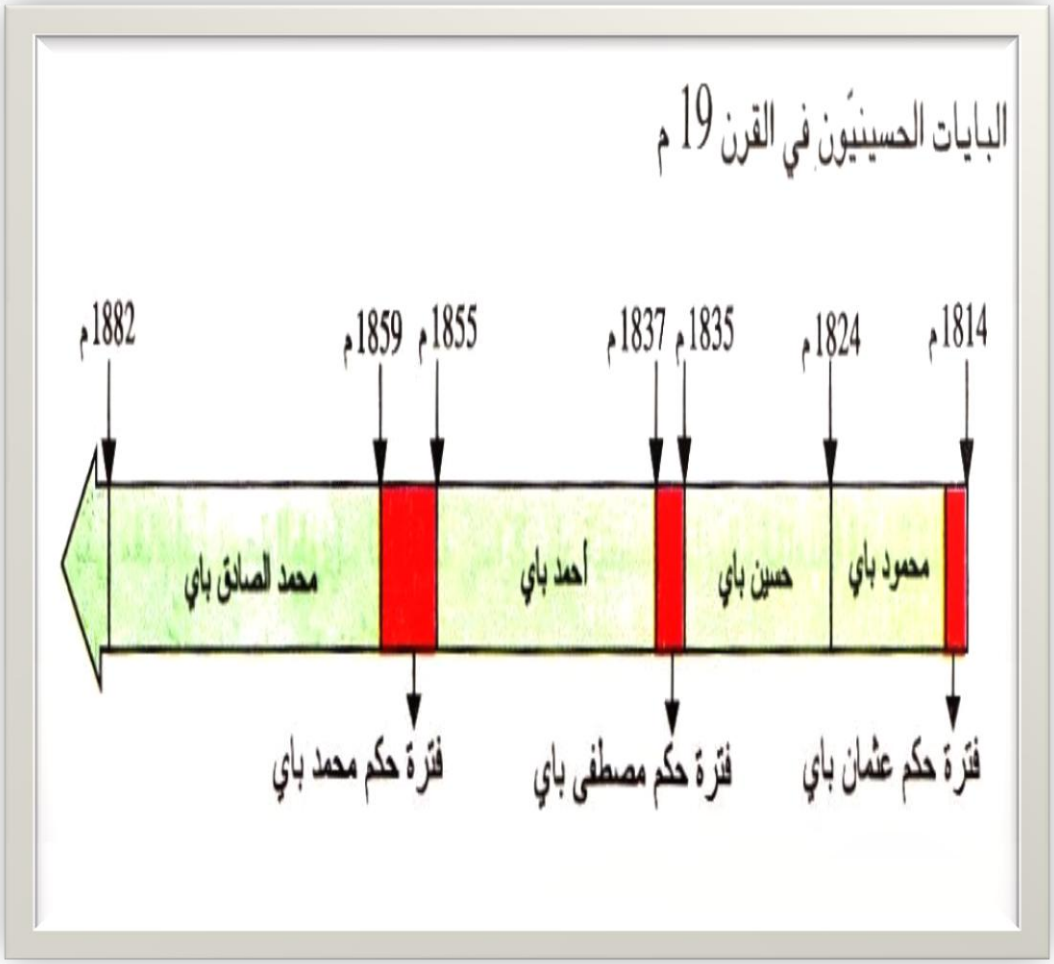

[1] -الموقع الإكتروني http://forum.z4ar.com/f83/t368806.html 2015/06/17 pm10.08

تابع للملحق رقم 01: مخطط لنسب الدولة الحسينية[1])

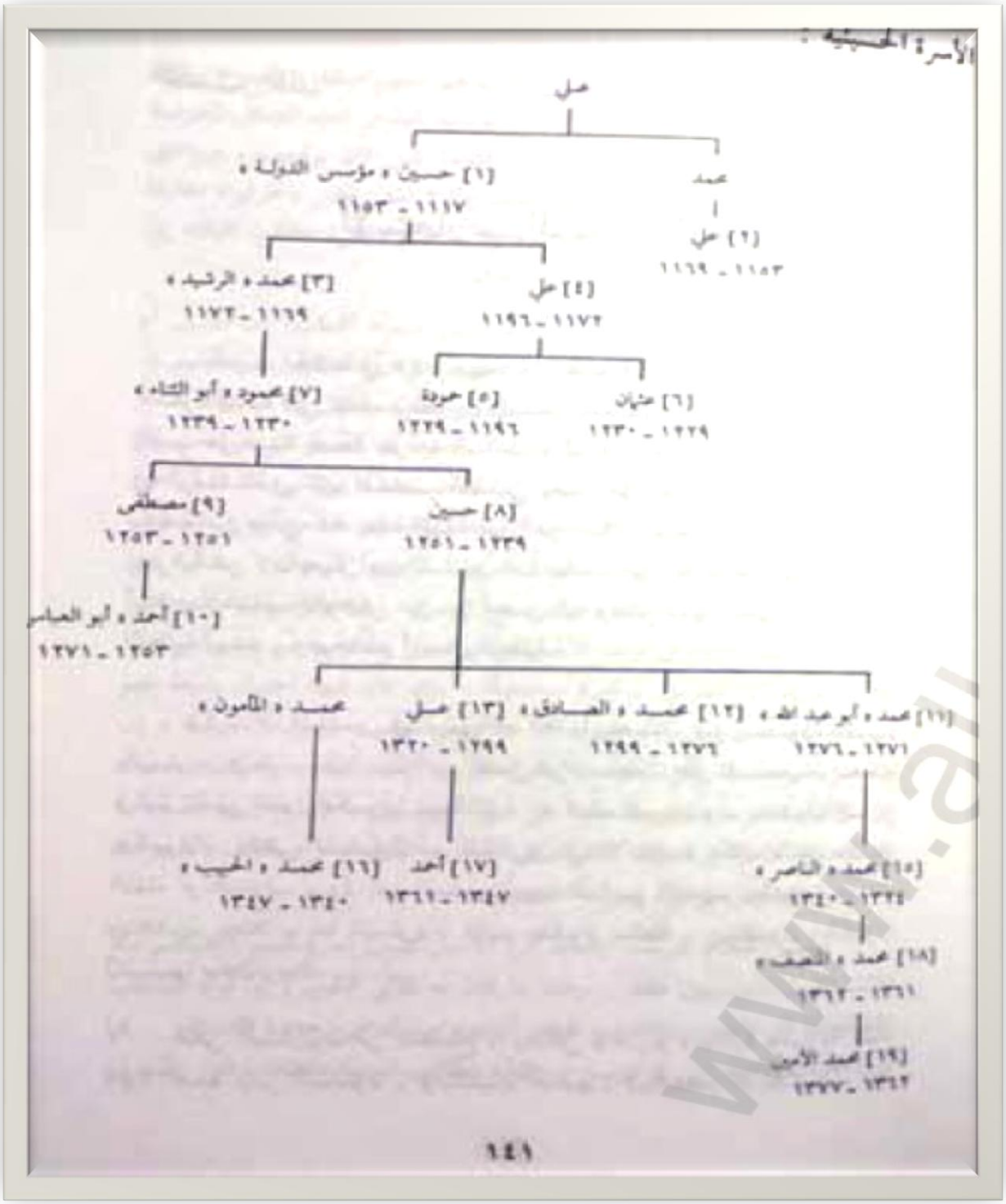

[1] محمود شاكر : **التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر بلاد المغرب** ، المكتبة الإسلامي ، ط2، 1996، ص141

ملحق رقم 02: صورة تبين حسين بن علي(1)

(1) الموقع الإلكتروني http://lewebpedagogique.com/adel2265/files/2011/10/200px-Hussein_I_Bey.jpg

ملحق رقم03:صورة تبين خير الدين التونسي (1)

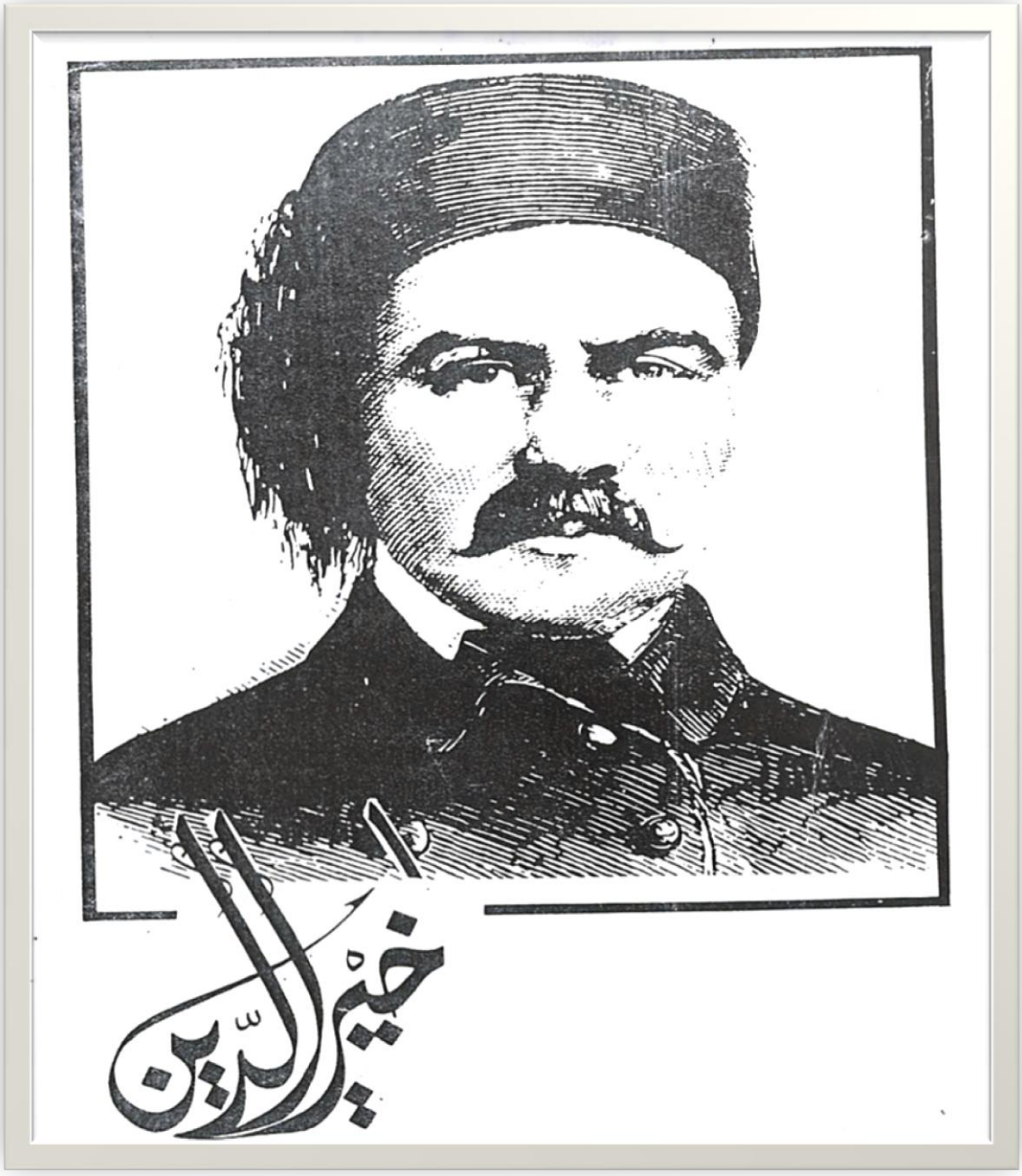

(1)أحمد الطويلي : **دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس** ، لمؤسسة سعيدان سوسة تونس ، 1992،ص25

ملحق رقم 04: صورة تمثل أحمد بن أبي الضياف[1]

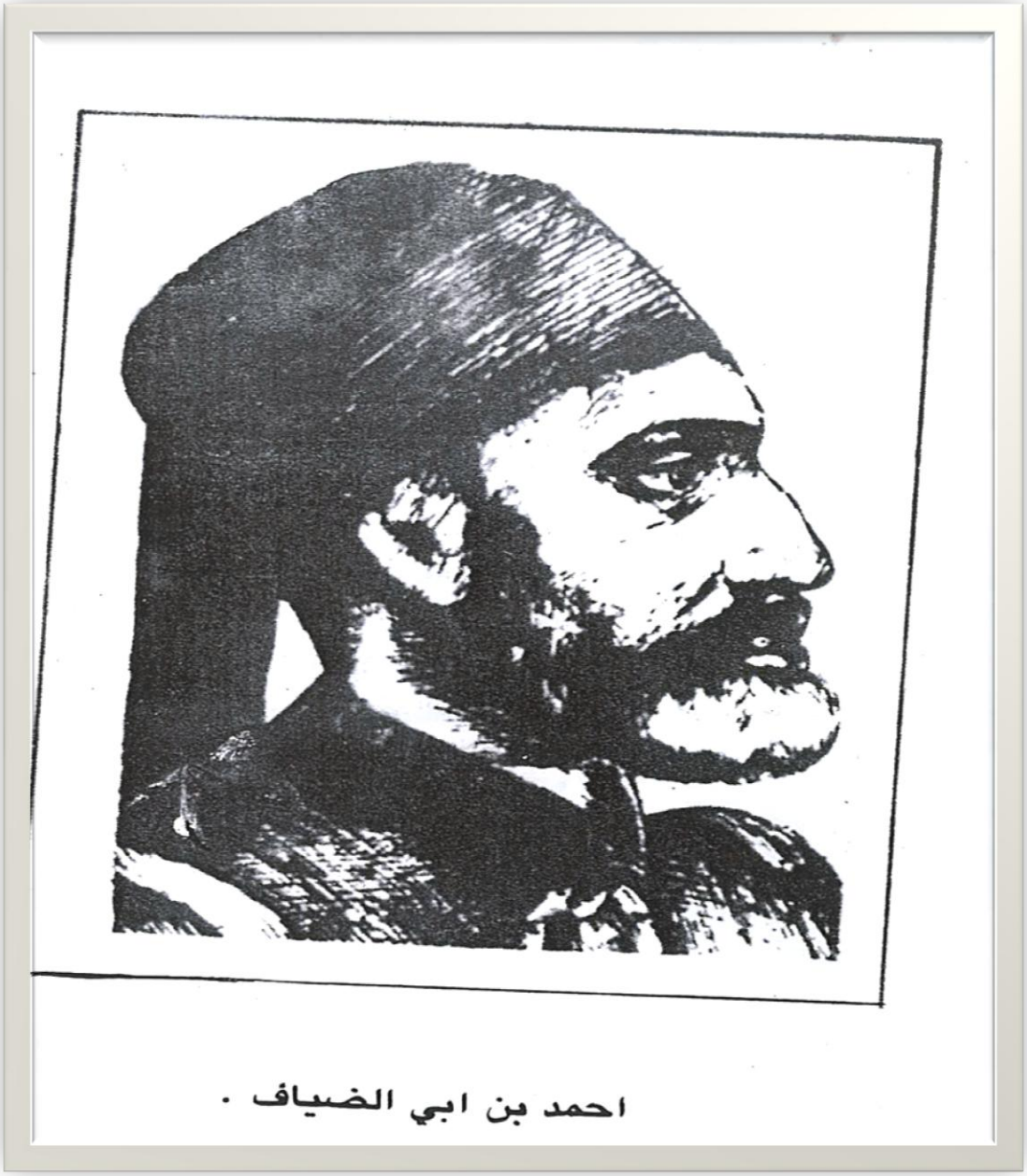

(1)[1]أحمد الطويلي: المصدر السابق ، ص08

ملحق رقم :05 صورة حمودة باشا[1]

صورة تمثل أحمد باشا[2]

(1)ينظر محمد بن الخوجة :**صفحات من تاريخ تونس تقديم** وتحقيق حمادي الساحلي ،ص 326

(2) المرجع نفسه : ص34

ملحق: رقم06: صورة تمثل مصطفى خزندار[1]

(1)الموقع الإكتروني
https://lh3.googleusercontent.com/_jW9hkAzXrpo/TU5_YKIcgkI/AAAAAAAAHnI/2BgSoALamA/s800/Mustapha_Khaznadar.jpg

ملحق : رقم07 :صورة تبين محمود قابادو[1]

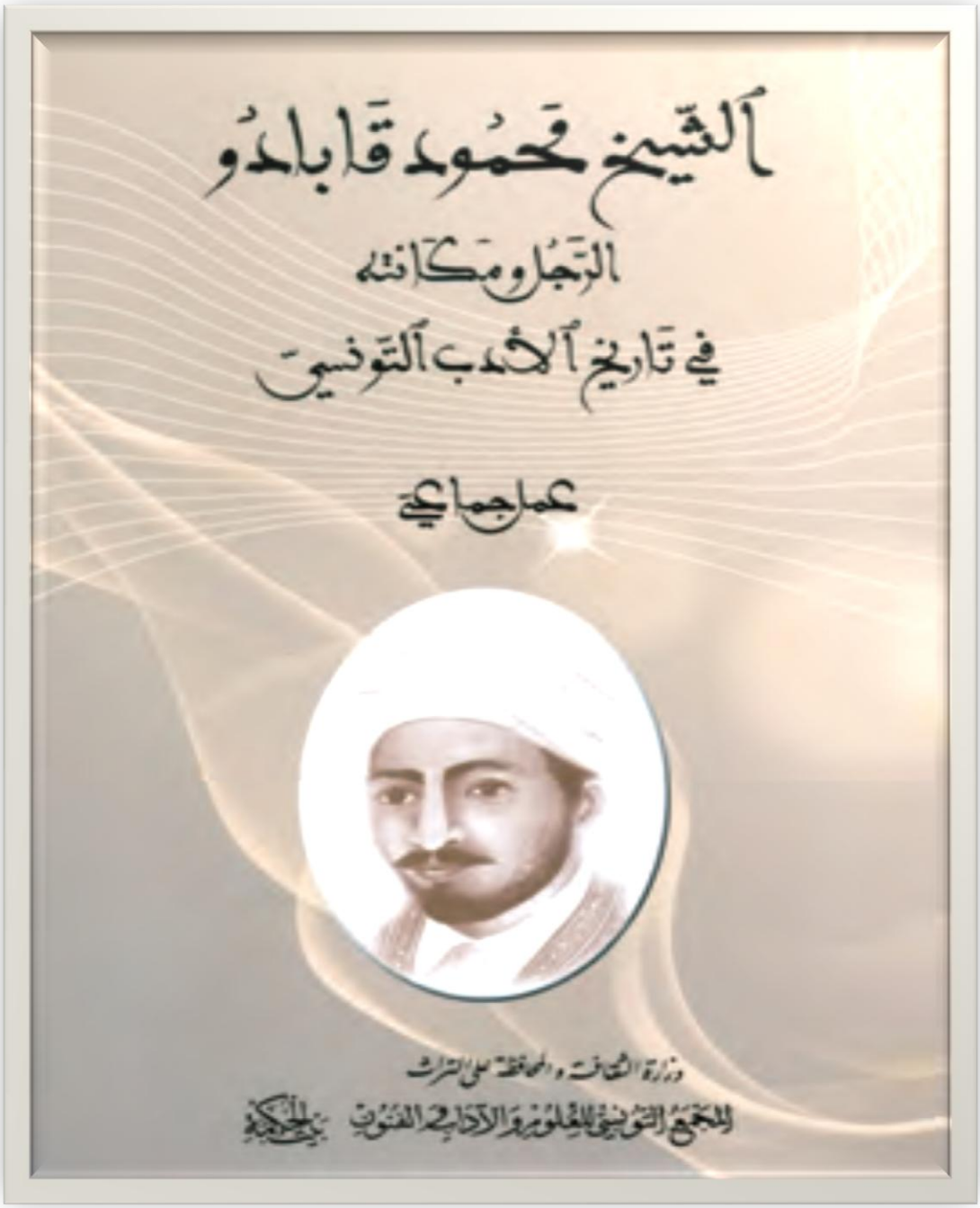

(1) الموقع الإلكتروني: http://www.lecteurtunisien.com/img/Photos/9789973491008.png

ملحق: رقم08: وتمثلت الوثائق المعروضة في وثيقة عهد الامان لسنة 1857 ودستور1861 ولائحة الموتمر الحزبي التي انطلقت منها القطيعة مع السلطة الاستعمارية عقب تراجعها عن وعود الاصلاح وكانت شرارة اندلاع احداث 9 افريل الى جانب جدول احصائي لمظاهرات 8 أفريل والامر المتعلق بحل الحزب الدستوري الجديد [1]

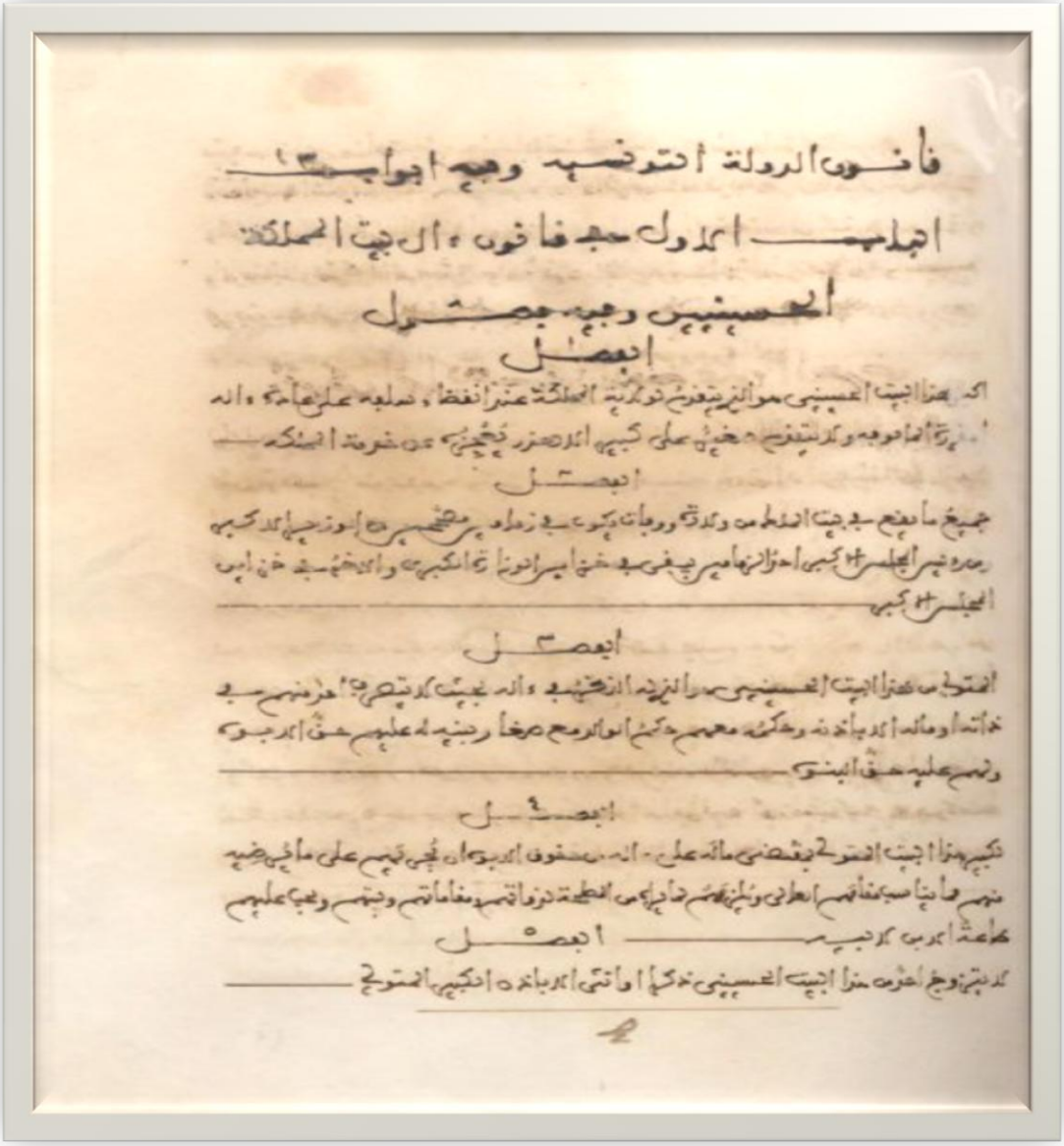

[1] موقع إكتراني 2016-04-08: https://www.babnet.net/cadredetail-123211.asp 15:44:51

تابع للملحق :رقم 08

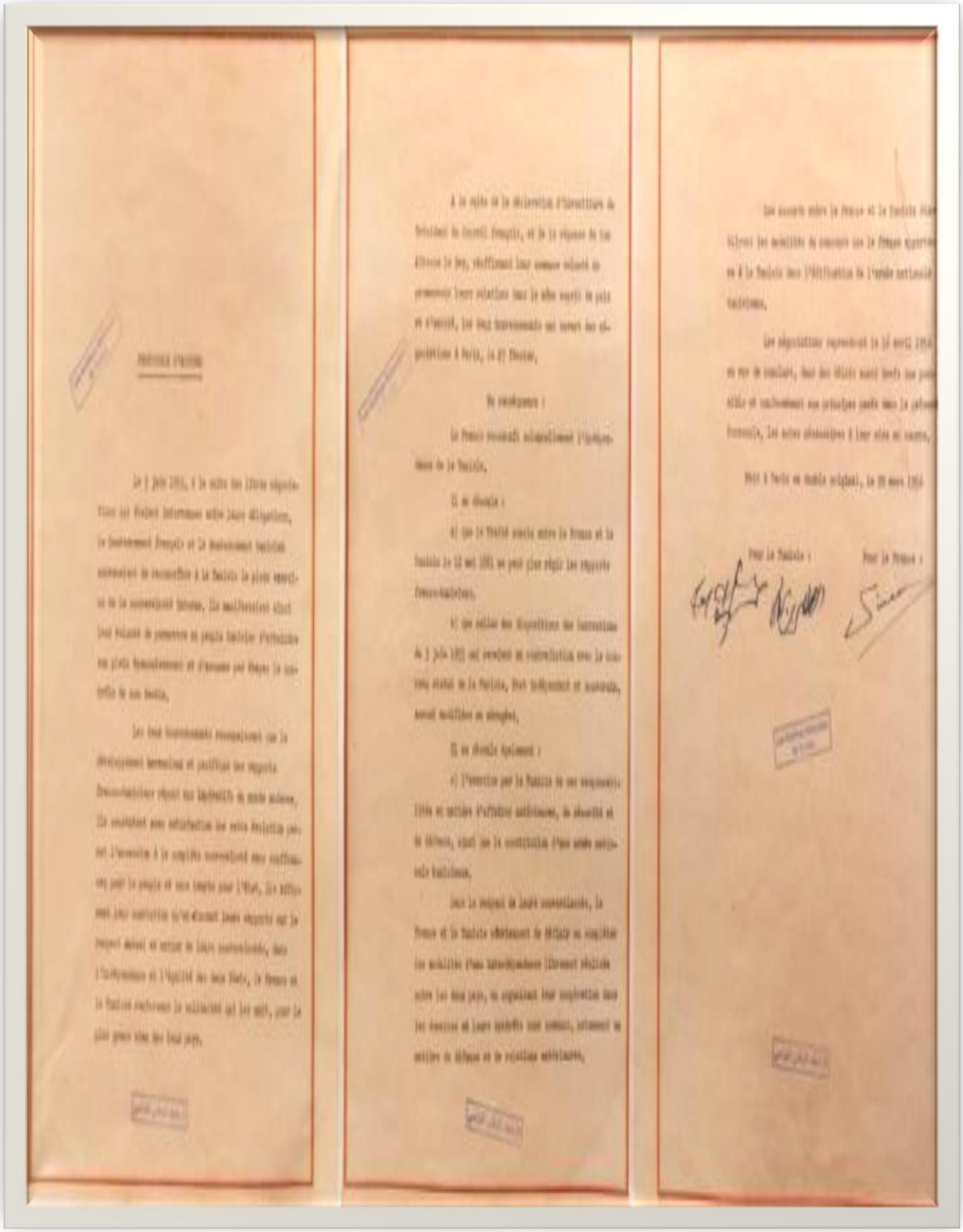

ملحق رقم 09: صورة تمثل مدرسة الصادقية [1]

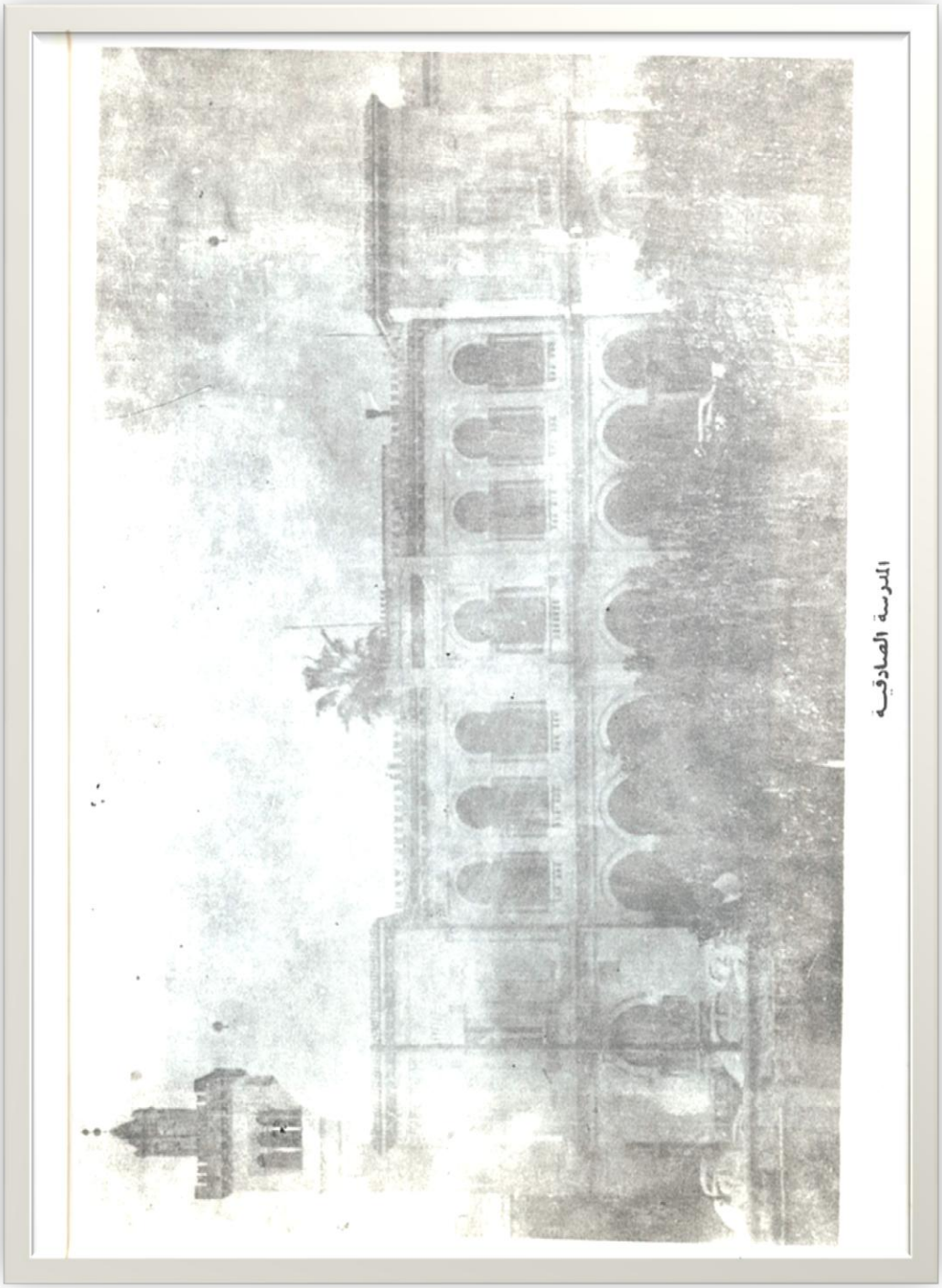

(1)– أحمد خالد :**أضوَاء من البيئَة التونسية على الطّاهر الحدّاد ونضال جيال** ،دار التونسية ،ط3، ، 1985

ملحق : رقم 10: صورة تبين جامع الزيتونة (1)

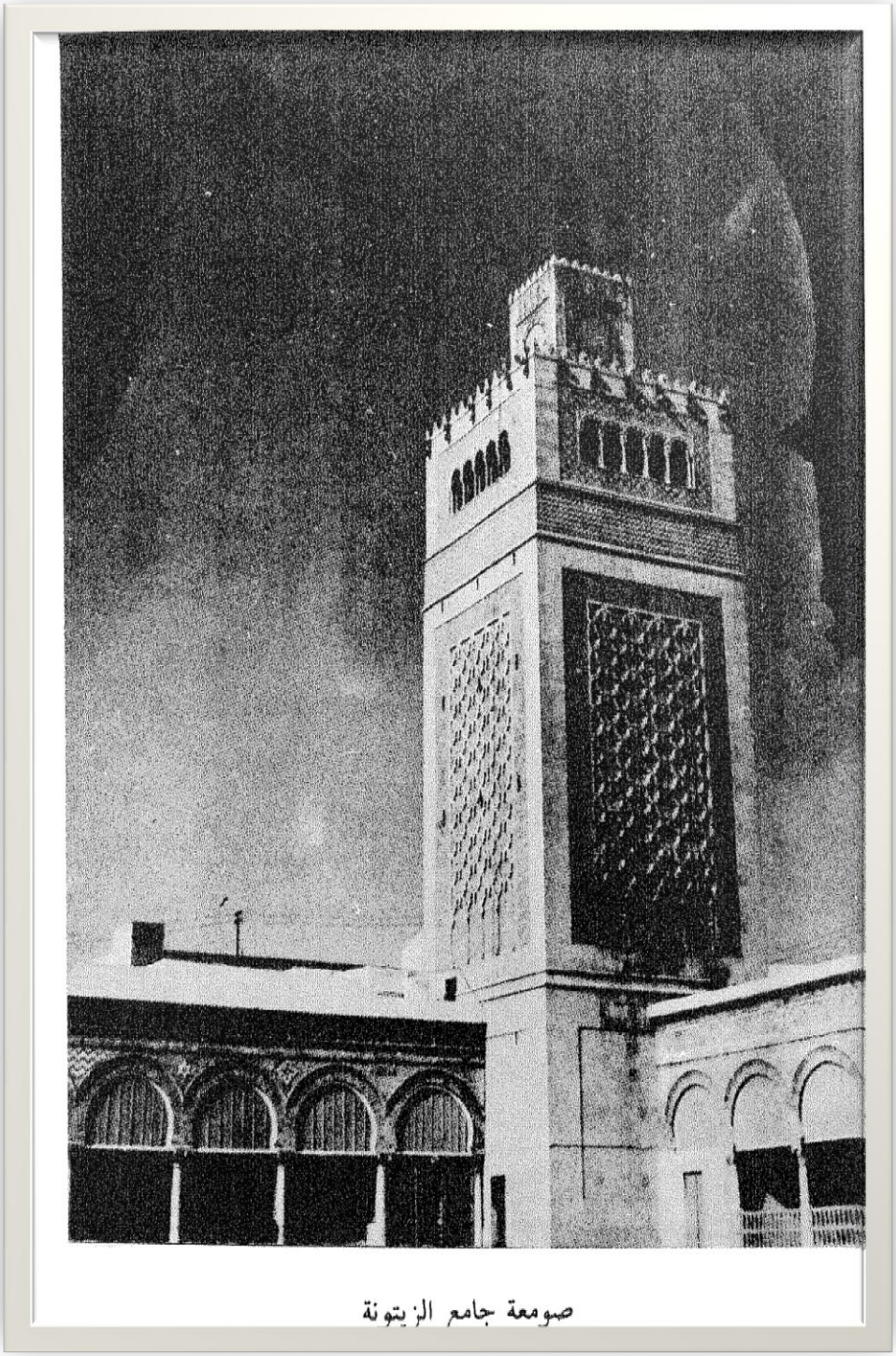

صومعة جامع الزيتونة

(1) – ينظر محمد بن الخوجة :**صفحات من تاريخ تونس تقديم** وتحقيق حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ،ط1، 1986 ، ص287.

ملحق رقم11 :صورة تبين محمد بيرم الخامس[1]

(1)الموقع الإكتروني https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/2/2f/Med-Beyrem-el-Khames-1.jpg

ملحق رقم12 : صورة تمثل عبد العزيز الثعالبي [1]

عبد العزيز الثعالبي (1874-1944)

([1]) خليفة شاطر وآخرون ، **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال** ، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية تونس ،2005،ص75

ملحق: رقم13:صورة تمثل سالم بوحاجب [1].

صورة تمثلعلي باش حانبه [2]

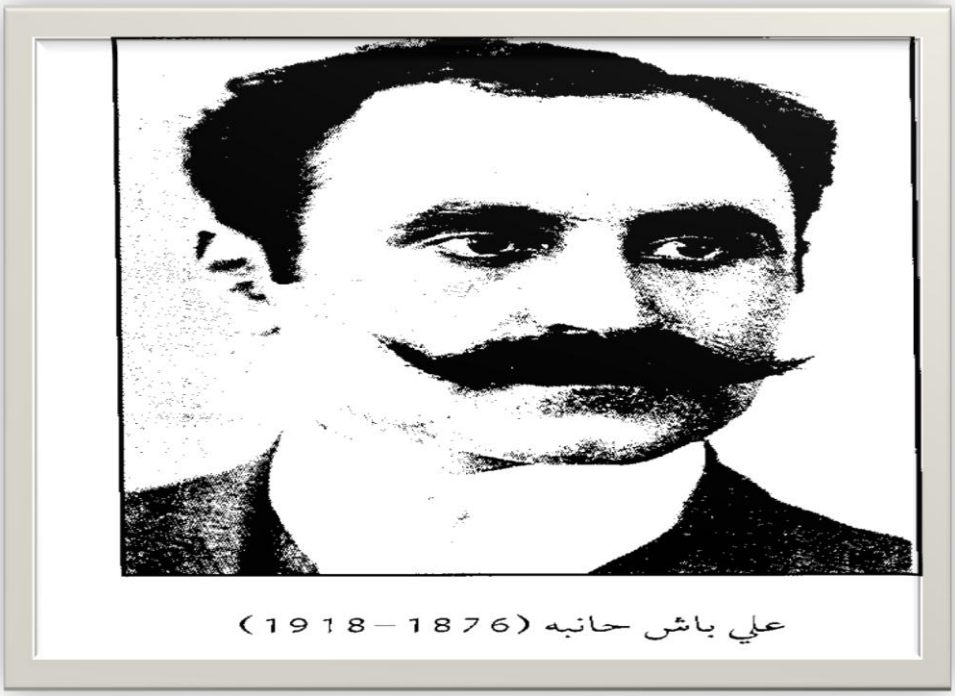

([1]) الموقع الإلكتروني http://ar.institut-kheireddine.org/files/2013/10/Sans-titre.jpg

([2]) خليفة شاطر وآخرون ، **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال** ، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية تونس ،2005،ص70

ملحق: رقم14 صورة تمثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده [1]

(1)الموقع الإكتروني http://4.bp.blogspot.com/-QK9xLvHhtTs/UJT2wWxchFI/AA

ملحق رقم15: صورة تمثل محمد الصادق باي [1]

المشير محمد الصادق باي بالتاج الحسيني بثلاث طغراءات.
(صورة تنشر لأوّل مرّة)

87

صورة تمثل محمد علي[2]

(1)ينظر محمد بن الخوجة :**صفحات من تاريخ تونس تقديم** وتحقيق حمادي الساحلي ،ص87

(2) الموقع الإكتروني :http://www.marefa.org/images/3/3e/Mohamed_sadek.JPG

الملحق رقم 16 صورة تبين موافقة محمد الصادق على الإمضاء على معاهدة باردو في يوم 12ماي 1881 [1]

محمّد الصادق باي بصدد الإمضاء على معاهدة باردو يوم 12 ماي 1881 بحضور القنصل الفرنسي روسطان وقائد الجيوش الفرنسية بريار، ويظهر من يسار الصورة محمّد البكّوش والعربي زرّوق والعزيز بوعتور ومصطفى بن اسماعيل فمحمّد خزندار ثمّ الصادق باي والياس موصلّي.

2

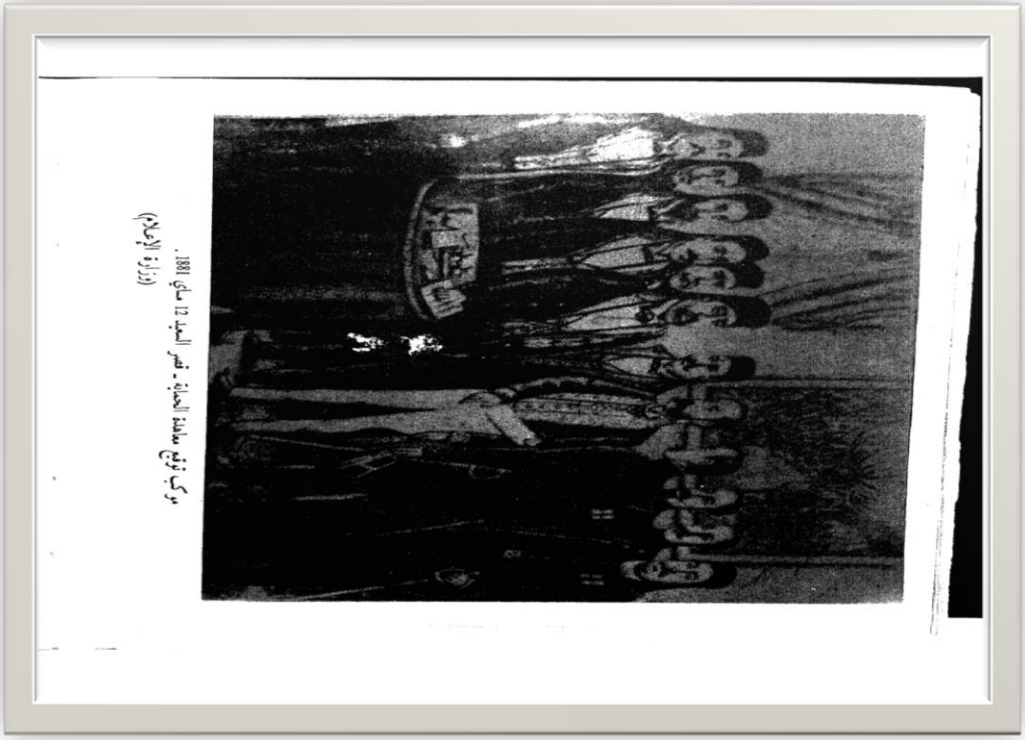

مركب توقيع معاهدة الحماية بقصر السعيد 12 ماي 1881.
(وزارة الإعلام)

[1] علي المحجوبي : **جدور الحركة الوطنية التونس(1904–1934** ،ص 12

[2] احمد القصاب :**تاريخ تونس المعاصر1881–1956**،ص16

ملحق: رقم وثيقة 17تمثل معاهدة باردو قصر السعي(1)

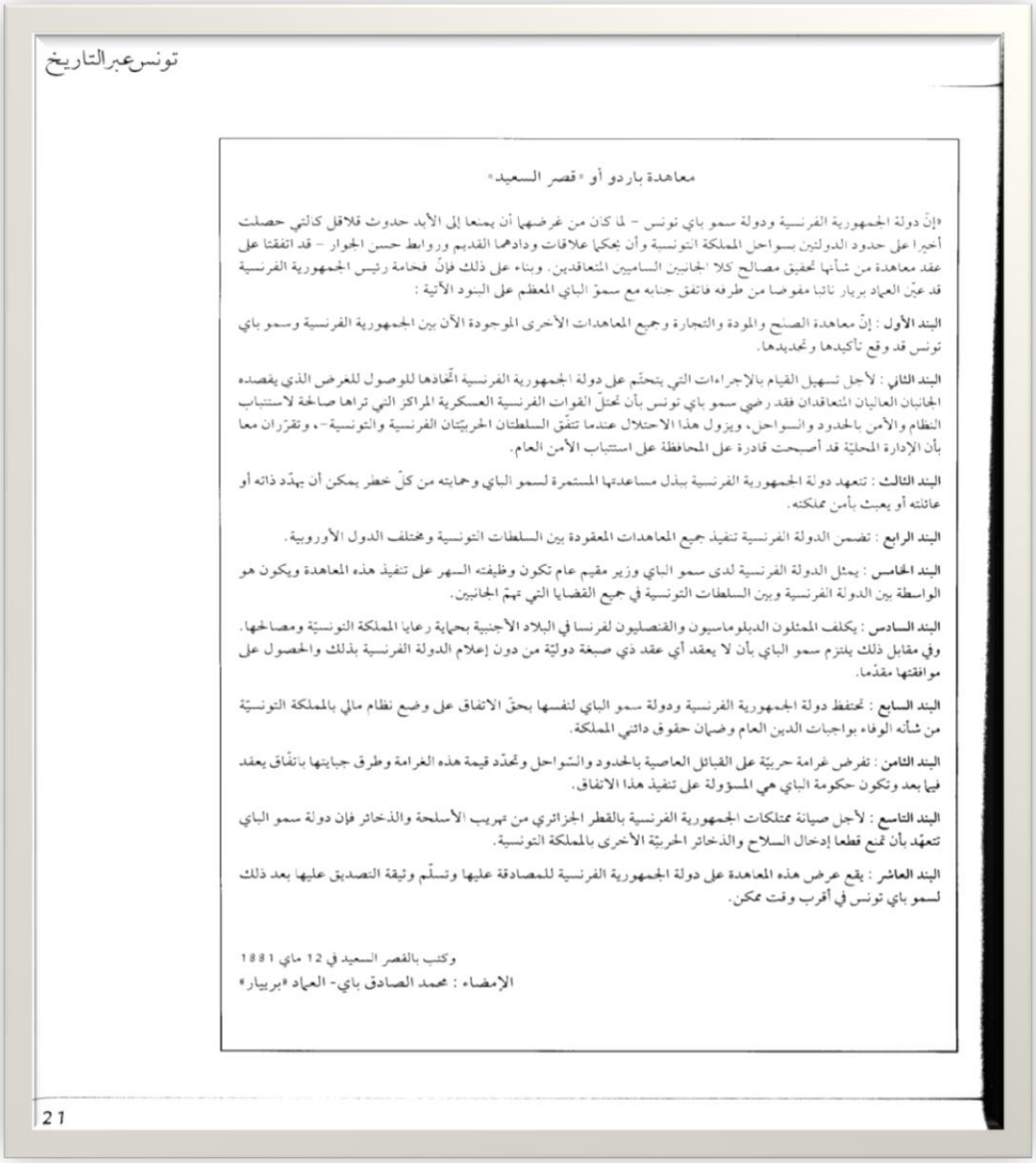

تونس عبر التاريخ

معاهدة باردو أو «قصر السعيد»

«إنّ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باي تونس – لما كان من غرضها أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلاقل كالتي حصلت أخيرا على حدود الدولتين بسواحل المملكة التونسية وأن تحكما علاقات وداديهما القديم وروابط حسن الجوار – قد اتفقتا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين السامين المتعاقدين. وبناء على ذلك فإنّ فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عيّن العياد بريار نائبا مفوضا من طرفه فاتفق جنابه مع سموّ الباي المعظم على البنود الآتية :

البند الأول : إنّ معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس قد وقع تأكيدها وتجديدها.

البند الثاني : لأجل تسهيل القيام بالإجراءات التي يتحتّم على دولة الجمهورية الفرنسية اتّخاذها للوصول للغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بأن تحتلّ القوات الفرنسية العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل، ويزول هذا الاحتلال عندما تتفّق السلطتان الحربيّتان الفرنسية والتونسية–، وتقرّران معا بأن الإدارة المحليّة قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن العام.

البند الثالث : تتعهد دولة الجمهورية الفرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباي وحمايته من كلّ خطر يمكن أن يهدّد ذاته أو عائلته أو يعبث بأمن مملكته.

البند الرابع : تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين السلطات التونسية ومختلف الدول الأوروبية.

البند الخامس : يمثل الدولة الفرنسية لدى سمو الباي وزير مقيم عام تكون وظيفته السهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية وبين السلطات التونسية في جميع القضايا التي تهمّ الجانبين.

البند السادس : يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرنسا في البلاد الأجنبية بحماية رعايا المملكة التونسيّة ومصالحها. وفي مقابل ذلك يلتزم سمو الباي بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دوليّة من دون إعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على موافقتها مقدّما.

البند السابع : تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي لنفسها بحقّ الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التونسيّة من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائني المملكة.

البند الثامن : تفرض غرامة حربيّة على القبائل العاصية بالحدود والسّواحل وتحدّد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتّفاق يعقد فيما بعد وتكون حكومة الباي هي المسؤولة على تنفيذ هذا الاتفاق.

البند التاسع : لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري من تهريب الأسلحة والذخائر فإن دولة سمو الباي تتعهّد بأن تمنع قطعا إدخال السلاح والذخائر الحربيّة الأخرى بالمملكة التونسية.

البند العاشر : يقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق عليها بعد ذلك لسمو باي تونس في أقرب وقت ممكن.

وكتب بالقصر السعيد في 12 ماي 1881

الإمضاء : محمد الصادق باي- العياد «بريار»

21

(1)-خليفة شاطر وآخرون ، **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال** ، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية تونس ،2005،ص21

ملحق :رقم18:وثيقة تمثل إتفاقية المرسى[1]

«اتفاقية المرسى»

لما كانت عناية سمو الباي المعظم متجّهة إلى تحسين الأحوال الداخليّة بالمملكة التونسيّة وفقا لأحكام المعاهدة المبرمة في الثاني عشر من شهر ماي سنة 1881، وكانت حكومة الجمهورية الفرنسية راغبة تمام الرغبة في تحقيق أغراض سموّه توثيقا لعرى المودّة بين القطرين العامرين، اتّفق الطرفان على عقد اتّفاق لتحقيق هذا الغرض، واعتمد رئيس الجمهورية في ذلك سمو بيار بول كامبون وزيره المقيم بتونس الذي قدم أوراق اعتماده لعقد الاتّفاقيّة المحدّدة في البنود الآتية :

البند الأول : لمّا كان غرض سمو الباي المعظم أن يسهّل للحكومة الفرنسيّة إتمام حمايتها، تكفّل بإدخال الإصلاحات الإداريّة والعدليّة والماليّة التي ترى الحكومة المشار إليها فائدة في إدخالها.

البند الثاني : تضمن الحكومة الفرنسية قرضا يعقده سمو الباي لتحويل أو لدفع الدين الموحّد البالغ 125 مليون فرنك والدين السائر الذي لا يمكن أن يتجاوز 17.550.000 فرنك، ولكنّها هي التي تختار الزمن والشروط الموافقة لذلك، وقد تعهّد سمو الباي المعظم بأن لا يعقد قرضا في المستقبل لحساب المملكة التونسيّة دون إذن سابق من الحكومة الفرنسيّة.

البند الثالث : يخصّص لسموّ الباي المعظم من مداخيل المملكة. أوّلا: المبالغ اللاّزمة للقيام بواجبات القرض الذي ضمنته فرنسا، ثانيا : مخصّصات سموّ الباي وقدرها مليونان من الريالات التونسية (أي 1.200.000 فرنك) وما فضل من ذلك يعين لمصاريف إدارة المملكة ودفع مصاريف الحماية.

البند الرابع : هذه الاتفاقيّة مؤكدة ومكملة للمعاهدة المعقودة في 12 ماي سنة 1881 فيما يحتاج منها إلى التأكيد والتكميل، ولاتتغيّر بها الأنظمة التي سبق وضعها فيما يتعلق بتقرير الغرامة الحربيّة.

البند الخامس : تعرض هذه الاتفاقيّة على الحكومة الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق إلى سمو الباي المعظم في أقرب وقت ممكن. إيذانا بصحّة ما تقدّم حرّرت هذه الاتفاقيّة وختمها الموقّعان بختميهما.

وكتب بالمرسى في 8 جوان 1883

الإمضاء : علي باي /«بول كامبون»

[1] – خليفة شاطر وآخرون ، **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال** ، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية تونس ،2005، ص 22

ملحق : رقم19خريطة تبين أهم معارك المقاومة [1].

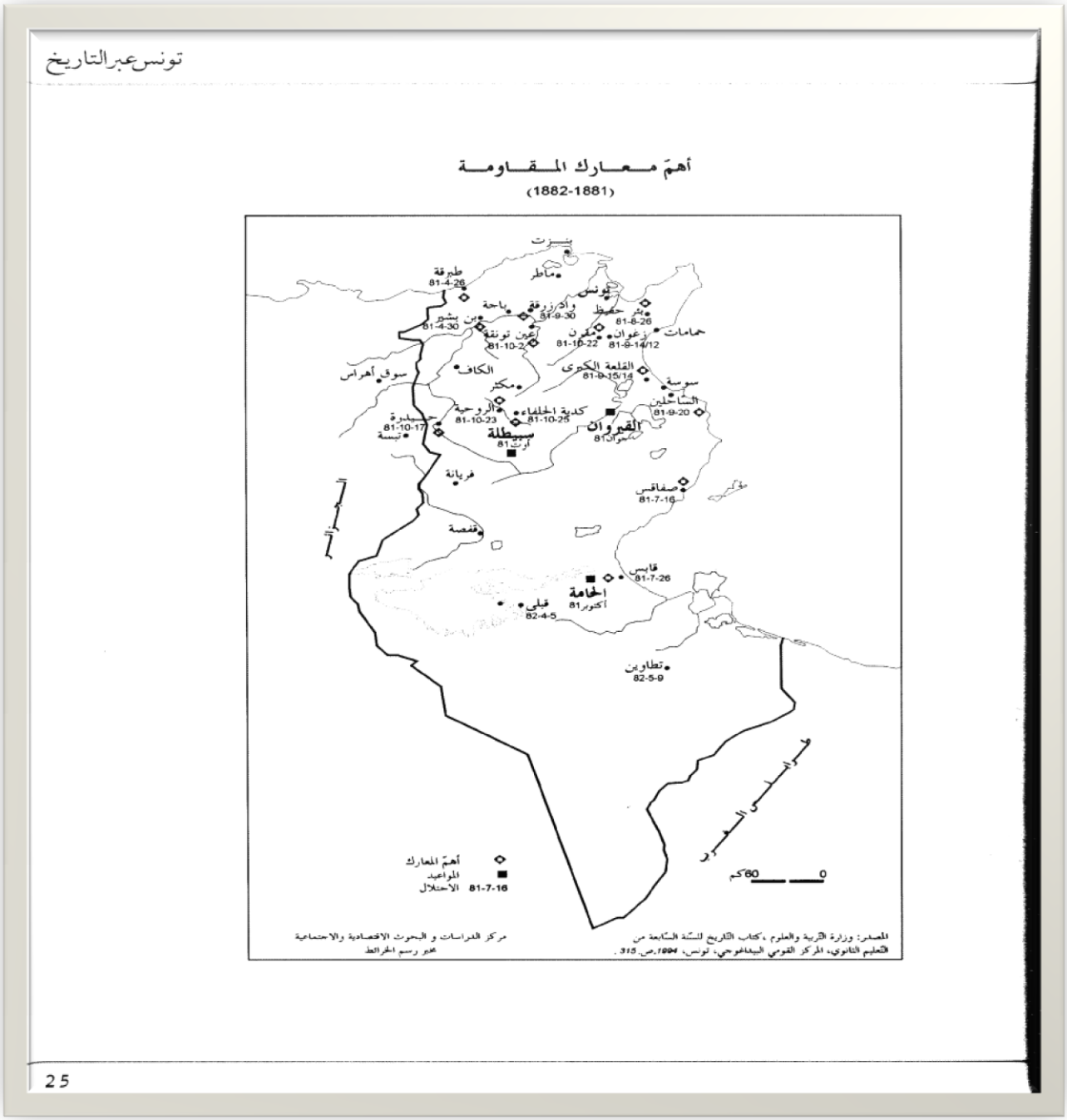

[1] خليفة شاطر وآخرون ، **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال** ، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية تونس ،2005، ص25

ملحق رقم 20يبن مراسيم إنتداب لسنة 1881([1])

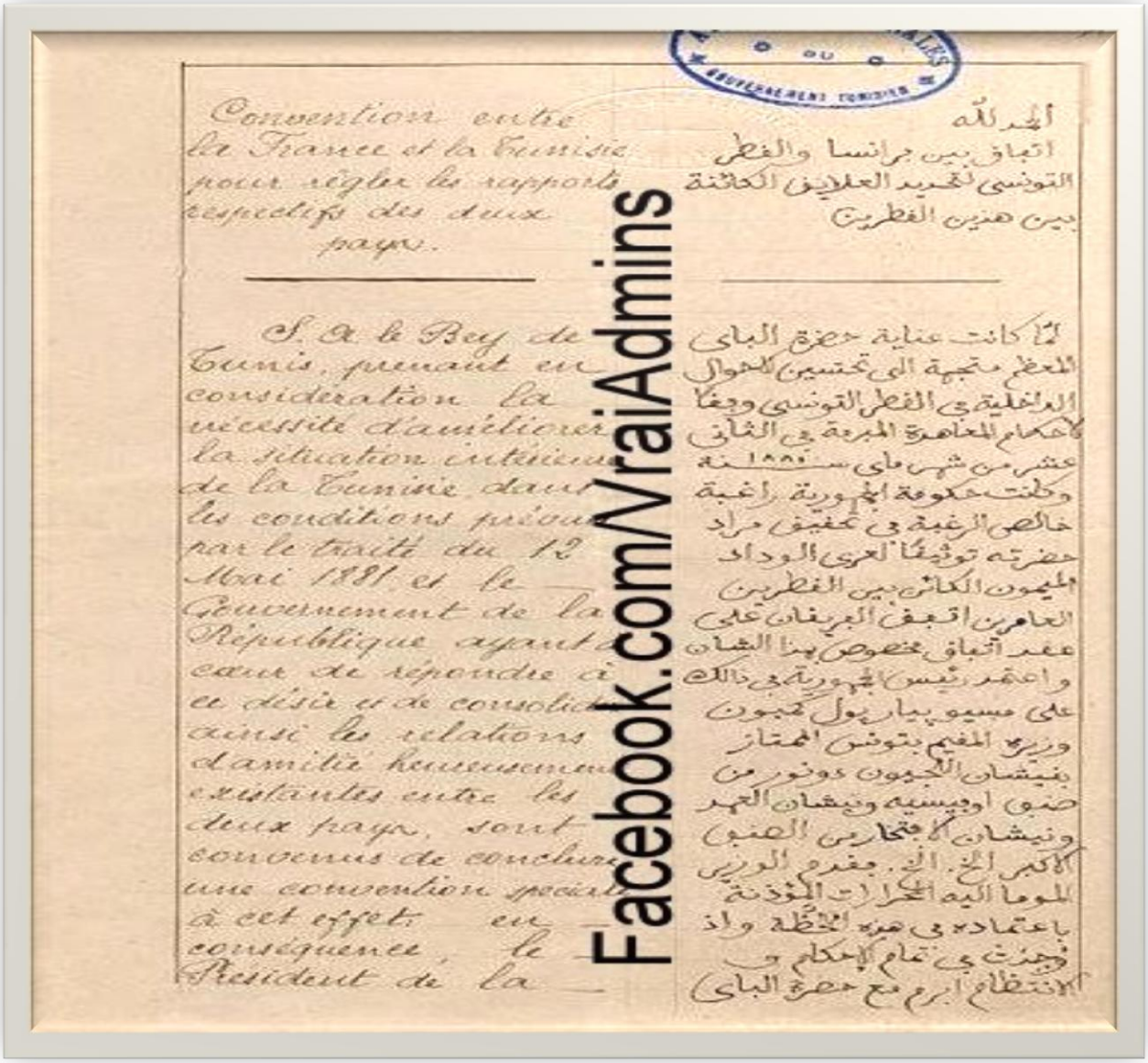

Convention entre la France et la Tunisie pour régler les rapports respectifs des deux pays.

S. A. le Bey de Tunis, prenant en considération la nécessité d'améliorer la situation intérieure de la Tunisie dans les conditions prévues par le traité du 12 Mai 1881, et le Gouvernement de la République ayant exprimé le désir de répondre à ce désir et de consolider ainsi les relations d'amitié heureusement existantes entre les deux pays, sont convenus de conclure une convention spéciale à cet effet; en conséquence, le Président de la

الحمد لله
اتفاق بين فرانسا والقطر التونسي لتحديد العلايق الكائنة بين هذين القطرين

لما كانت عناية حضرة الباي المعظم متجهة الى تحسين الاحوال الداخلية في القطر التونسي ووفقا لاحكام المعاهدة المبرمة في الثاني عشر من شهر ماي سنة ١٨٨١ وكانت حكومة الجمهورية راغبة خالص الرغبة في تحقيق مراد حضرته توثيقا لعرى الوداد الميمون الكائن بين القطرين العامرين اتفق الفريقان على عقد اتفاق مخصوص بهذا الشان واعتمد رئيس الجمهورية في ذلك على مسيو بيار بول كمبون وزيره المفيم بتونس الممتاز بنيشان الجيون دونور من صنف اوفيسيه ونيشان المهر ونيشان الاستحقار من الصنف الاكبر الخ. الخ. بمقدم الوزير الموما اليه المحررات المؤذنة باعتماده في هذه الخطة واذ وجدت في تمام الاحكام و الانتظام ابرم مع حضرة الباي

Facebook.com/VraiAdmins

[1] الموقع الإكتروني http://2.bp.blogspot.com/-mk8qNyKMpmM/UyrK7jGOfdI/AAAAAAAABPE/q9Ri26tDjbw/s1600/marsoum+1881.jpg

قائمة المصادر والمراجع

قسمتها على النحو التالي:

1- **المصادر العربية**

2-المراجع العربية والأجنبية .

3- الرسائل والأطروحات:

4- الموسوعات ومجلات :

5- المقالات والدراسات :

6- الموقع الإكتروانية :

القرآن الكريم

1:المصادر

1- أبي عبد الله بن أبي القاسم القرواني : **المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس**، تحقيق محمد شام تونس,في طبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية 1656, ط 1

2- أبو حمدان سمير:**خير الدين التونسي أبو النهضة التونسية** ، بيروت ،دار الكتاب ، العالمي 1993

3- إبن أبي الضياف أحمد:**إتحاف أهل الزمان بإخبار ملوك تونس وعهد الأمان**:،ط2، لجنةمن وزارة الشؤون الثقافية مج 2،مج مج 4،دار العربي لكتاب ، تونس أحمد الطويلي : **دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس** ، لمؤسسة سعيدان سوسة تونس ، 1992

4- بيرم الخامس محمد:**صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والاقظار** ،القطر التونسي ،ط1،دار مصادر بيروت ،بالطبعة الإعلامية بمصر سنة 1302هجرية ،ج2

5- بن خوجة محمد,تقديم وتحقيق , الساحلي الجيلالي بن الحاج يحي ,**صفحات من تاريخ تونس** ,دار العرب الإسلامي بيروت ,ط1,1986,

7- الثّعالبي عبد العزيز: **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة الأغلبية** ، جمع وتحقيق :أحمد بن ميلاد ومحمّد ادريس وتقديم مراجعة حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ،ط2، 1987

8- الثعالبي عبد العزيز: **الرّسالة المحمدية من نزول الوحي إلى وفاته الرّسول صلى الله عليه وسلم** ، تحقيق صالح الخرفي ، دار بن كثير ، دمشق بيروت ،ط1، 1997

9- الثّعالبي عبد العزيز : **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة الأغلبية** ، جمع وتحقيق :أحمد بن ميلاد ومحمّد ادريس وتقديم مراجعة حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ،ط2

10- حسن الوزان : **وصف إفريقيا** ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، ج2، 1983.

11- حنَّا لفَاخوري ا: **تاريخ الأدب في المغرب العربّي** ،دار الجيل بيروت ،ط1 ، 1996

12- خير الدين التونسي: **أقوم المسالك في المعرفة أحوال الممالك**،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،1985

13- السراج الوزير :**الحلل السندسية في الأخبار التونسية** ، ط1،مج ، دار العرب الإسلامي بيروت لبنان ، 1987

14- عبد الوهاب حسيني حسن:**كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**,ج1 ,ط1.1990,

15-محمد العربي السنوسي ،**مذكرات خير الذين** ،تونس ،بيت الحكمة ،.2008

16- القيرواني للرقيق،**تاريخ افريقية والمغرب** تقديم وتحقيق وتعليق دكتور محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجانى للنشر والتوزيع ،ط1، 1994،ص66

17- مقديش محمود:**نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار** ،ط1،تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ،1988،مج2

18- محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ج2،ط1، 2003،

2:المرجع:

1- أحمد إسماعيل راشد: **تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث** والمعاصر ،دار النهضة العربية بيروت لبنان ،ط1,2004،

2- أحمد ياغي إسماعيل: **العالم العربي في التاريخ الحديث** ،ط1الرياض،1997،مكتبة العبيكان.

3- أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية ،1900-1930**، ، ج2، ط4 ، دار الغرب الإسلامي 1992

4- أبو القاسم سعد الله ،**تاريخ الجزائر الثقافي** ، دار الغرب الإسلامي ج7،ط 1، 1998

5-شاكر محمود: **التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر بلاد المغرب** ، المكتبة الإسلامي ، ط2، 1996

6- غلاب عبد الكريم :**قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي** ،دار الغرب الإسلامي ، ج 2،ج3 ط1، 2005بيروت.

7-مقلاتي عبد الله،**في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر** ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر

8-دلندة الارقش ،وآخرون :**المغرب العربي الحديث من خلال مصادره** ،مركز النشر الجامعي 2003

9- محمد الهادي الشريف:**تاريخ تونس من عصور ما قبل إلى الاحتلال** ،تعريب محمد الشاوش ومحمد عجينة ،ط3,دار سراس للنشر تونس , 1993

10- سعيدوني ناصر الدين :**الجزائر في التاريخ في العهد العثماني** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984

11- ضيف شوقي: **تاريخ الأدب العربي عصر الدولة والإمارات(ليبيا ,تونس ,صقلية)** دار المعارف ,مصر, 1992 .

12- الشّيباني بنبلغيت : الجيش **التونسي في عهد محمد الصادق باي -1859)** (**1882**تقديم عبد الجليل التميمي ، منشورات ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلّية الأدب والعلوم الإنسانية جامعة صفاقس ، تونس ، 1995

13- الجميعي عبد المنعم :**الدولة العثمانية والمغرب العربي** ،موسوعة الثقافية التاريخية والأثرية الحضارية التاريخ الحديث ،دار الفكر العربي

14- الجيلاني بن الحاج يحي ومحمد المرزوقي : معركة الزلاج 1911 ، الشركة التونسية للتوزيع ، ط2، 1974.

15- جميل بيضون وآخرون:تاريخ العرب الحديث ،دار الأمل ، ط1، الاردن،2010.

16- الحبيب تامر :**هذه تونس** ،مكتبة المغرب العربي ،مطبعة الرسالة

17- حبيب حسن اللولب : **أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر** ،ط2013

18- الشاطر خليفة وآخرين :**تونس عبر التاريخ (الحركة الوطنية ودولة الاستقلال)** ,ج3,تونس مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية 2005

19- خير الدين شترة : **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900–1939)** دار البصائر الجزائر ،2009

20- يحي جلال : **العالم العربي الحديث والمعاصر** ،المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية،

21- السيد أبو مصطفى كمال: **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس** ،**مركز الإسكندرية** للكتاب ،مصر ، 2003

22- مناصريّة يوسف:**الحزب الحرّ الدّستوري التونسي 1919/1934م** ،دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ،ط1، 1988

23- عطا الله الجمل شوقي: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا –تونس –الجزائر– المغرب**)ط1,1977 , مكتبة الانجلو المصرية

24- الإمام رشاد :**التفكير الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور قانون" عهد الأمان** ",دار سحنون للنشر والتوزيع تونس ,ط1,2010.

25- صلاح العقّاد: **المغرب العربّي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر** ،**تونس** ،**المغرب الأقصى**،ط6، 1993، مكتبة الانجلو المصرية

26- علي المحجوبي : **جدور الحركة الوطنية التونسية (1904–1934)**، تعريب عبد الحميد الشابي، المجمع التونسي للعلوم والأدب بيت الحكمة ، 1999

27-علي المحجوبي :**انتصاب الحماية الفرنسية بتونس** ،تر: عمر بن صنو –حليمة قرقوري علي المحجوبي ،دار سراس للنشر تونس ،1986

28- حبيب حسن اللولب : **أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر** ،ط2013

29- محمود السيد : **تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، موريتانيا)** مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2006

30- إلياس الأيوبي: **محمد علي سيرته وأعماله وآثاره** ، كلمات عربية للترجمة والنشر ،مصر العربية ، 2011

31- علّال الفاسي : **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي** ، مؤسسة علّال الفاسي،ط،2003.

32- محمد صالح الجابري : **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962**،دار الحكمة ، 2007

33- يسرى عبد الرازق الجوهرى : شمال إفريقية دراسات في الجغرافية التاريخية ، دار الجامعات المصرية ،1970، ص206

ب المعربة :

1- د.اميل توما : **تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديثة** ، ج1 ، دار الفارابي دار الأدب والثقافة بيروت ، 1989

2- البرت جوراني: **الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939** ،ترجمة إلى العربية كريم غرفول ،دار النهار للنشر ،بيروت لبنان .

3- الثّعالبي عبد العزيز :**تونس الشهيدة** ،ترجمة وتقديم سامي الجندْي،دار القدس ،ط1، 1975

4- الزمَرلي الصادق، الصادق الزمرلي : **أعلام تونسيون**، تقديم وتعريب حمادى الساحلي،دار الغرب الإسلامي ، ط1، 1986 .

5 -لوتسكي : **تاريخ الأقطار العربية الحديث** ،دار التقدم ،1975

المراجع بالغة الفرنسية :

1- Jeam Ganiage.les Qrigines du peotectorat français en Tunis.1861- 1881.Pesses.universitaives de.france. Paris. 1959.

2- Mongi Smida :Khereddins Ministre Reformateur، Malson Tunislenne De L'Edrtion

3- Sophie Errais :Institutions Peformes militaires En Tunisie Au xixe Siecle ،Institut des Etudes is Lamiques université mcgill montreal Québec،Aout 1992.

الرسائل والأطروحات:

2- أمحمد يزير : **عبد العزيز الثعالبي وقضايا عصره 1876-1944م**،مذكرة ماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر بوزريعة ، السنة الجامعية 2010-2011،ص46

3- برجي رزيقة :**شخصية محمد المكي بن عزوز ودوره الإصلاحي(1854-1915م)**مذكرة لنيل الماستر التاريخ المعاصر ،جامعة محمد خيضر بسكرة 2012-2013.

4- خرنق مبروكة : **العلاقات التونسية الفرنسية خلال القرن السابع عشر -1605) (1705سياسياً وتجارياً** ، مذكرة الماجستر تخصص التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011-2012،.

5- علوش فايزة : **مصطفى كمال أتاتورك وموقفه من خلافة العثمانية 1881م-1938** ، مذكرة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2014-2015

4 – الموسوعات ومجلات:

1– أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة : **معجم مشاهير المغاربية** ، منشورات دحلب ، الجزائر ، دط ، عاصمة الثقافة العربية

2- أمين أحمد :**زعماء الإصلاح في العصر الحديث** ،دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

3- حمّادي السّاحلي ، المنصف الشنّوفي :**موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين** ،منظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،دار الجيل بيروت لبنان ،مج4،ط1، 2005،.

4- إبراهيم زكي خورشيد : **موجز المعارف الإسلامية** ،مركز الشارقة للابداع الفكري ،ج1 ،تج ت،هوتسمات وارنولد ، باسيت هارتمان،1998م .

5-محفوظ محمد :**تراجم المؤلفين التونسيين**،ج2 ، ج3 دار الغرب الإسلامي ، بيروت .لبنان ، 1982م

6- التميمي عبد الجليل : المجلّة التاريخية المغربية ،عدد 3،تونس ،جانفي 1975،ص65

7- المجلة البصائر لسان جال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،:،دار الغرب الأسلامي ، السنة الثانية 1937م، العدد 51-89

8- **الشهاب** ، ج5، مج 13، الجزائر : ديسمبر 1933م

9-**الشهاب**، عدد 89، الجزائر : 27أكتوبر1927م

10- **الشهاب** . ج5، مج 13 . الجزائر : جويلية 1937م

11- محمد الشاولي بن القاضي : **المجلة الزيتونية** ،مج1،ج1، مطبعة التونسية بنهج سوق البلاط ،عدد 57، بتونس ، ص337

5– المقالات والدراسات:

1- عبداللطيف الحناشي :**الشيخ عبد العزيز الثّعالبي رائد السلفية المستنيرة في المغرب**

العربي ،استاذ التاريخ السياسي المعاصر والراهن ،جامعة منوبة تونس .

2- **الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر** ،سلسلة نداوات ومناظرات رقم7، أيام دراسة1983:، مملكة المغربية جامعة محمد الخامس ،بالرباط .

4- عبد اللطيف الحناشي، **الشيخ عبد العزيز الثعالبي رائد السلفية المستنيرة في المغرب العربي** ،جامعة منوبة تونس . 5- الشيباني بنبلغيت : تجربة خير الدين الإصلاحية في الأوقاف التونسية

– الموقع الإكتروانية :

1- http://forum.z4ar.com/f83/t368806.html 2015/06/17 10.08 pm

2-https://www.babnet.net/cadredetail-123211.asp :2016-04-08 15:44:51

3- http://www.marefa.org/images/3/3e/Mohamed_sadek.JPG

4-http://www.lecteurtunisien.com/img/Photos/9789973491008.png

فهرس المحتويات

فهرس محتويات

إهداء

كلمة شكر

قائمة المختصرات

مقدمة 1-6

الفصـــل الأول : الأوضـــــــــــــــــــــاع العامـــة في تونس قبيل الإصلاح

1- المبحث الأول الأوضاع السيّاسية.....9 -15

عهد الاضطرابات في عهد علي باشا (1728-1756) 12

* على الصعيد الخارجي 13

*على الصعيد الداخلي..... 14

2– المبحث الثاني الأوضاع الاقتصادية .....16 -20

1-الصناعة 17

2- الزراعة :.....18

3- التجارة :.....19

3- **المبحث الثالث : الأوضاع الاجتماعية**:.....21-24

4- **المبحث الرابع : الأوضاع الثقافية**.....25-31

الفصل الثاني : الحـــــــــركة الإصـــــــــــــــلاحية وروادها في تونس

المبحث الأول : خير الدين التونسي (1238–1308هـ) (1820–1890م) :.....33–48

1- حياته : 33

2- فكره:.....38

3- كتبه..... 39

4-الحركة الإصلاحية في عهده: السياسية الاقتصادية الإدارية الاجتماعية.....41-48

المبحث الثاني: أحمد بن أبي الضياف 1804/1874 م:.....49 -52

1- حياته:.....49

2-فكره..... 50

3-كتبه:..... 51

4-الحركة الإصلاحية في عهده. السياسية. الاقتصادية. التعليم..... 51-52

المبحث الثالث : محمد بيرم الخامس (1840/1889) : ..... 53 - 56

1 - حياته.....53

2 -كتبه..... 54

3الحركة الإصلاحية في عهده :السياسية،الاقتصادية، الإدارية. الإجتماعية.....54 -56

المبحث الرابع : عبد العزيز الثعالبي :ابن الخلدون الجديد1873-1944 ...57 -66

1- حياته.....57

2-كتبه.....58

3- الحركة الإصلاحية في عهده السياسية الاجتماعية:..... 60-64

الفصل الثالث:أثر الحـــــركة الإصـــــــــــلاحية في تـــــونس.

المبحث الأول : في مجال السياسي: 68-75

1- جذور فرض الحماية على تونس:.....68

2- فرض السلطة الفرنسية في تونس :..... 71

3- المقاومة :.....73

المبحث الثاني : في المجال الاقتصادي:.....76–79

من الجانب القضائي.....76

من النّاحية الزرّاعية:.....77

من النّاحية الصناعية..... 78

المبحث الثالث: في المجال الاجتماعي:.....79 –80

المبحث الرابع : في المجال الثقافي:.....81–86

أ- مشروع لويس ماشوال:.....83

ب- مشروع بلان دنقزلي:..... 84

ج- مشاريع المدرسين.....85

الخاتمة .....86 -88

الملاحق 90-111

قائمة المصادر والمراجع 113-120

فهرس المحتويات..... 122-124